# المقتطف

الجزء الثالث من المجلد التاسع بعد المائة

١ أغسطس سنة ١٩٤٦ — ٤ رمضان سنة ١٣٦٥


## المرأة

### في ظل الديموقراطية

— ١ —

المرأة عامل من أعظم العوامل المؤثرة في بناء المدنية الحديثة. ولم تكن المرأة في العصور القديمة أقل أثراً منها في العصور المتأخرة. فالقبائل البدائية، وبخاصة تلك التي اتخذت عادات البدو في الارتحال من مكان الى مكان، والجماعات التي عاشت بالصيد، والعشائر التي اتخذت من سلاحها وعضلاتها وسيلة للعيش والحياة والضرب في مناكب الارض، كل هؤلاء يدينون للمرأة بكثير من أمور دنياهم.

شاركت المرأة الرجل منذ أقدم العصور في العمل، وأخذت بضلع في كل ما يتعلق بالحياة القبلية وحياة الأسرة، وكانت من العوامل الأولية في انتشار جماعات الانسان في بقاع من الأرض، لولا فضلها في العمل، وتدبيرها شئون الأسرة، لتعذر على الرجل وحده أن يدبّ فيها أو يكشف عنها. وكانت للرجل ولا شك سلاحاً من أمضى أسلحته، ودرعاً من أقوى دروعه، وحافزاً من أوّل حوافزه، وكفاها أن تكون أول من أنشأ فلاحة الارض، وأول من اكتشف كيف تنبت الحبة فتثمر في أزمان دورية. فكان هذا بداية الحضارة الزراعية في العالم القديم، وأساسها الاول في العالم الحديث. ولا ريبة في أن

اكتشاف النار ، ووضع أصول الزراعة ، سيان لولاها لما نشأت المدنيات التي استقرت أول ما استقرت ، على شواطئ الأنهار العظمى .

قال ولز يصف حال الجماعات الاولى :

«على أن أكثر العمل المضني الذي كانت تحتاج اليه الجماعة كان من نصيب النساء . فان الرجل البدائي لم يكن يفهم للشهامة ولا للنخوة او النجدة معنى . فكانت الجماعة اذا عزمت على الانتقال من مكان نزلت فيه ، حمل النساء والشابات كل ما يوجد من المتاع ، ومشى الرجال بغير شيء الاّ أسلحتهم ، وهم على استعداد لدفع الطوارئ ، ولا شك في أن العناية بالأطفال ايضاً كانت من نصيب النساء » .

ثم قال : « كانت هذه الحال سبباً في أن يذهب البعض الى القول بأن النساء كنّ أول من بدأ في فلح الأرض . وهذا المذهب لا تنقصه المرجحات الكثيرة . فان جمع الحبوب ومواد الأكل الخضرية كانت من عمل النساء ، لأن الرجال كانوا يخرجون دائماً في جولاتهم الطويلة للصيد والقنص . ولا يبعد أن يكون النساء هنّ اللائي لاحظن ان الحبوب تنمو في الأمكنة التي كانت من قبل مخيماً لجماعات أخر ، يكونون قد بذروا الحبوب على وجه الأرض قرباناً لآلهة من الآلهة عسى أن يعوض عليهم ما بذروا أضعافاً تعد بالمئات . وعلى هذا لا نشك في أن أول طور من الأطوار التي تدرجت فيها الزراعة ، كانت عبارة عن استلاب محصول بذرة الغير . فان الجماعات التي كانت لا تزال في طور « الرعاة » يرجح أن يكونوا قد زرعوا ، ليحصدوا اذا انقلبوا راجعين الى مكانهم الأول » .

ولقد تابعت المرأة خطى التطور الذي لازم الرجل في جهاده الشاق نحو الكمال والمدنية . فاذا كان الرجل قد ضحى بالكثير من جهده العضلي والعقلي في بناء دعائم الحضارة وتوثيق روابط المجتمع ، والكشف عن أسرار المجهولات فقد ضحت المرأة بجهدٍ نفسي ، وأسرفت في الانفاق من روحها وعواطفها وانفعالاتها ، ما قد يتضاءل أمامه ما أنفق الرجل من جهد العمل والانتاج . واذا كان التاريخ على ما يقول « هيني » ليس سوى الأطهار الخلقة التي خلقها الروح الانساني على مرّ العصور ، فان في ثنايا تلك الأطهار من روح المرأة قدراً يساوي ما فيها من روح الرجل ، إن لم يكن أكثر ، اذا لم نخشَ المبالغة .

ولقد عانت المرأة من عنف الرجل طوال أحقاب لا يحصيها العدّ ، ما لو استطعنا أن نقدره ، لفاق جهدها في ذلك وحده ، كل ما نقدر للرجل من جهد العمل على إقامة دعائم المدنية والحضارة . فلو لم تخصّها الطبيعة بتلك الخواص النفسية الفذة ، وذلك الادراك العميق لمختلف نزعات الرجل ، وتلك القدرة العجيبة على اختيار مواقف الكرّ حيث يجدي ، والفرّ حيث يفيد ، والإقدام حيث يكون الإقدام نصراً ، والدفاع حيث يكون الإقدام هزيمة ، مدفوعة الى ذلك بغريزة فيها تدفعها الى حفظ ذلك النوع الذي يطلق عليه الاحيائيون اسم « الانسان العاقل » (١) اصطلاحاً ، لظل ذلك الكائن البدائي في جحوره المظلمة ، وكهوفه المرطوبة ، وغاباته الموحشة ، حيواناً لا يفرقه عن بقية الحيوان غير انتصاب القامة .

ذلك بأن الطبيعة قد وجهت غريزة الرجل الى العمل للحاضر وحده ، ولكنها خصت المرأة بغريزة العمل للمستقبل . تحمل وتلد وترضع وتربي وتعلّم ، وتحارب نزوات الرجل بالضعف إذا صلح ، وبالقوة إذا حزب الأمر ، موجهة كل ذلك الجهد الى الاحتفاظ بشيئين : الأسرة والولد . الأسرة للحاضر ، والولد للمستقبل . وليس لها من كل ذلك غنماً ولا ربحاً . ومن ثمّ كان لها تلك الغرائز النبيلة السامية .

* * *

لم يصلنا من تاريخ المرأة الاجتماعي في العصر المصري القديم شيئاً يتيح لنا البحث في شئونها بحيث نحدد مكانتها في ذلك المجتمع تحديداً يرضي التاريخ الصحيح . ولكن يكفي أن نعرف انها بلغت من المكانة في ذلك المجتمع ما لم نرَ له مثيلاً في الحضارتين اليونانية والرومانية . فقد بلغت في مصر القديمة رتبة الملك ، وكفى بذلك دليلاً على انها بلغت في مصر ، وفي فجر التاريخ البشري ، منزلة السلطة العليا في دولة استبدادية ، لا أثر للديموقراطية فيها . ولم تبلغ في الحضارة اليونانية من الأثر العملي ما بلغت في الحضارة الرومانية . ومن أعجب حقائق التاريخ ، أن تتبوأ المرأة أعلا مدارج المجتمع في حكومة استبدادية كحكومة مصر القديمة ، وتتوارى من أفق المجتمع كلية في بلاد اليونان ، التي ورثنا عنها النظم

---

(١) Homo sapiens

الديموقراطية الحديثة . ولا شك في انها كانت ذات أثر بالغ في حياة الرومان ، حتى لقد وجهت سياسة الدولة في عصر أوغسطوس ، أول قياصرة الرومان ، زمناً خصَّ بأنه شهد نشأة الامبراطوريات العظمى في العالم .

وهكذا كان للمرأة أثر بيّن في تاريخ الانسان في عصور همجيته وفي عصور تمدينه ، وسوف يكون لها في المستقبل أثراً أعظم ، وتاريخاً أروع وأخلد .

***

لما سقطت الدولة الرومانية ، وحطّمها الهمج الذين هبطوا أوربا من فجاج أسيا ، وورثت أوربا عنهم نظام القطائع ، انكفأت المرأة بغريزتها راجعة الى تلك الحدود التي لزمتها خلال عصور الهمجية الاولى ، ونزلت عن تلك المكانة السامية التي تربعت على عرشها في بعض المدنيات القديمة . ولقد ظلت المرأة على هذه الحال حتى كانت العصور الحديثة ، فأخذت في أوربا شيئاً من مكانتها التي بلغتها في مصر القديمة ، إذ تربعت على عرش الملك ، ورنَّ صوتها الغرد في فجاج التاريخ مرة أخرى .

عندما أدركت أوربا الثورة الصناعية ، ولقّنتها مبادىء الحرية الديموقراطية ، وماهت المرأة الرجل في التعليم ، تطلّعت الى حقوقها السياسية ، وأخذت تعمل جاهدة في سبيل تحقيقها لتكمل بذلك ذاتيتها . فلئن كانت المرأة قد حققت ذاتها وأثبتت وجودها في ميادين كثيرة كالأمومة والزوجية والأسرة والجهاد والحرب والمُلك ، فإنها ولا شك تجنح اليوم إلى ان تكمل ذاتيتها بأن يكون لها في ميدان السياسة والاجتماع والعمل ، تلك الحقوق التي حرمتها خلال العصور الغابرة . تلك الحقوق التي لا ينكرها الشرع ولا تأباها الطبيعة .

***

ان الكلام في حقوق المرأة حديث جديد في المدنية الأوربية . فبعد ان سقطت المرأة عن عرشها المتواضع الذي تربعت من فوقه في العصر الروماني ، غشت عليها غشاوة القرون الوسطى ، فقبعت راضية ، حتى أدركتها العصور الحديثة ، فهبت من غفوتها تطالب بحقوقها السياسية ، تلك الحقوق التي بلغت في روسيا السوفيتية ، ولأول مرة في تاريخ الدنيا ، مبلغ الحرية التي ساوت فيها الرجل مساواة تامة . أما بداية جهادها في سبيل ذلك ، فيرجع الى ما

قبيل الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر ، إذ بدأت تحتل مشكلتها العالمية مكاناً في آداب الأمم الغربية .

غير ان جهاد المرأة في ذلك العصر كان جهاداً سلبيًّا ، دليلنا عليه أن كثيراً من نابهي الكتّاب والفلاسفة قد خصوها فيما كتبوا ببحوث وإشارات عبرت عن أن في جوّ المجتمع مشكلة هي مشكلة المرأة ، ومسألة معقدة هي مسألة الشطر الآخر من الجمعية البشرية .

ومن أعجب العجب ان « جان جاك روسو » ، على كثرة ما أشاد في كتابيه « العقد الاجتماعي » و «أميل» الذي كتبه في أصول التربية ، واستمساكه فيهما بنظرية أن الحرية حق طبيعي للانسان ، لم يذكر أن للمرأة حقًّا يقال له « الحق السياسي » . وجاراه في ذلك بقية الكتّاب الذين نحوا نحوه واتبعوا مذهبه . ذلك في حين أن مذهب هؤلاء جميعاً هو أن الحق السياسي حق طبيعي لا يسقط عن الانسان ولا يسلب منه حتى ولو تعاقد هو على حرمان نفسه منه ، بل قالوا ان التصويت حقٌّ عام لكل أفراد الجمعية ، وانه جزء متمم للحرية فلا يسلب ولا يتنازل عنه أو يحرم منه فردٌ ما من الأفراد ، ذلك بأن الحرية شيء طبيعي ، وكذلك تكون متعلقاتها وتوابعها .

أليس عجيباً أن أولئك الذين يقولون بتلك الحرية الواسعة ويقدّسونها ، وينزلونها هذه المنزلة ، التي لا شك في انها صحيحة من كل وجه ، هم بأنفسهم الذين يمضون في بحوثهم قانعين بأن يظل نصف الراشدين من مجموع الامة عطلاً من هذه الحقوق ، وان يحرمن النصف الآخر من التمتع بها ، فيطغى على حقهنّ فيها ، فلا يجعل لهنّ نصيباً من الاشراف على التشريعات التي تتعلق بأموالهنّ وأحوالهنّ الشخصية ، بل هي قد تنصب على كل أقدارهنّ في هذه الحياة الانسانية ؟

لقد كتب «روسو» عن المرأة وفصل الفوارق التي تفصلها عن الرجل . ولكن لم ينزل كاتب من كتّاب القرن الثامن عشر الى ذلك الدرك الذي انحدر فيه « روسو » اذ قال : «خلقت المرأة لتكون ملهاة للرجل» . غير انه عقب على ذلك بقوله :

« ينبغي أن يكون تعليمهنّ متصلاً بحاجات الرجل ، فتكون له تسلية وفائدة ، وموضعاً لحبه واحترامه ، وتربي أولاده صغاراً ، وتعنى بهم كباراً ، وتبذل لهم النصح ، وتنفحهم

بالعطف حتى تصبح حياتهم هادئة مرحة . كانت هذه الأشياء خلال كل العصور واجبات المرأة ، ومن أجل هذه الواجبات ، يجب أن تتعلم المرأة من الصغر » .

بل ان « روسّو » قد ذهب في تقييد المرأة إلى أبعد من ذلك . ذهب الى وجوب تقييدها دينيًّا ، فلم يجعل لها حق اختيار العقيدة التي تتصل من طريقها ببارئها ، وقضى بوجوب ان لا يكون لها دين غير دين زوجها ، فهي مقيدة به محصورة في حدوده . شأنه في ذلك شأن « فلوطرخوس » في العصر الروماني ، وقد قضى كلاهما بأن على المرأة أيضاً أن تعمل على غرس بذور دينها ، الذي هو دين زوجها ، في عقل بناتها ، وإلاَّ فإنها تكون قد قصرت في أداء واجب من أقدس الواجبات . قال :

« حتى ولو كان ذلك الدين زوراً محضاً ، فان طواعية المرأة وبناتها ، وخضوعهنَّ لذلك الشرع الطبيعي ، تكون عند الله وسيلة لغفران الخطيئات . ومن أجل ان النساء غير قادرات على ان يحكمنَ على الأشياء حكماً ذاتيًّا ، فعليهنَّ أن يخضعنَ لأحكام آبائهنَّ وأزواجهنَّ خضوعهنَّ لحكم الكنيسة » .

لم يشذّ عن هذه الطريقة التي اتبعها كل كتّاب الثورة الفرنسية غير الفيلسوف « كوندورسيه » . فقد ظهر في بعض كتابات ظهرت له سنة ١٧٨٧ ، وتكاد تكون من منسيّات ما كتب ، إلى القول بأنه من المستحيل أن تستقر حقوق الانسان على قاعدة ثابتة ، ما لم يُعترف بهذه الحقوق للمرأة ، وإن كل الأسباب التي أدّت إلى الاعتقاد بأن لكل رجل الحق في أن يكون له صوت مسموع في حكم بلاده ، هي الأسباب التي تحملنا على إضفاء هذه الحقوق على النساء . قال :

« وعلى الأقل للواتي هنَّ أرامل أو غير متزوّجات » .

ولو لم يقيّد « كوندورسيه » رأيه بذلك القيد الذي هو أثر من آثار الفكرة السائدة في عصره ، إذاً لكان أول رائد دافع عن حقوق المرأة في العصر الحديث .

ولا ريب أن موقف كتّاب فرنسا من المرأة في ذلك العصر كان فذًّا غريباً ، إذا تذكرنا « ماريا تريزا » والملكة « كاترين » في روسيا ، والمكانة العليا التي شغلتها كل منهما في سياسة بلادها خاصة وسياسة أوربا عامة . أضف الى ذلك المنزلة السامية التي احتلتها نساء موهوبات

في الاجتماع والأدب والبحوث العقلية وفي الحياة السياسية ، منذ انقضاء عصر لويس الرابع عشر . ناهيك بما كان للمرأة من موضع في إلهاب روح الثورة في فرنسا ، وما كان لها من تضحية فيها . وأية تضحية أعظم وأنبل من تضحية مدام « رولان » و « شارلوت كورداي » وأولاهما من الموهوبات في السياسة والادب ، والثانية من الفدائيات . كانت الأولى من أعضاء حزب « الجيروند » المبرّزين فيه ، وكانت الثانية من المضحيات اللواتي تذكرهنّ فرنسا الى جانب « جان دارك » ، وقد سقطتا على المقصلة مع رجال من أبرز رجال العصر .

ناهيك بما عليه كثير من المؤرخين الذين يعتقدون انه ما من كاتب استطاع أن يزن حوادث ذلك العصر بميزان أدقّ أو عقلية أرحب أو أفق أوسع من مدام « ده ستايل » . كذلك نعلم ان انساناً مّا من الذين عاصروا الثورة ، لم يستطع أن يلهب بمواقفه نيران الحقد والغضب استمساكاً بوجهة من النظر السياسي ، فكان أعنف وأصبر على مكاره ذلك الموقف النكد من الملكة « ماري انطوانيت » ، وهي بشهادة الجميع من أكثر اللواتي سقطنَ على المقصلة استنارة فكر واستقامة رأي وثبات جنان .

قيل إن نابليون قابل ذات يوم أرملة « كوندورسيه » وكانت من زعيمات الثورة فخاطبها محتدًّا وفي نبراته نغمة الآمر الذي لا ينتظر ممن يخاطب جواباً : مدام — إني لا أحب أن تتمحك المرأة في السياسة — فأجابته على الفور : لك الحق أيها الجنرال . ولكن من الطبيعي في بلد تحتزّ فيه رءوس النساء ، أن يكون لهنَّ الحق في أن يسألنَ عن السبب في ذلك !

ولا يجدر بنا أن نغفل في هذا المقام عن ذكر ماكان للمرأة من أثر في عصر النهضة في أوربا . ولنضرب لذلك مثلاً بما كان لتعليمهنَّ من أثر في حياة ذلك العصر .

وأول ما نذكر منهنَّ ، بل أول من نتخذ منهنَّ مثالاً يحتذى وقدوة يتأسى بها « كاترينا سفورزا » (١٤٦٢ — ١٥٠٩) فقد نشئت بعناية جدتها الدوقة « بيانكا ماريا فسكونتي » . وكانت « بيانكا » من مشهورات أهل زمانها . ففي كل المعارك التي اشتبك فيها زوجها « فرنشسكو سفورزا » كانت مساعده الاول ونصيحه الامين ، بل كانت في بعض الأحايين قائداً مقداماً مرناً ، فقادت الجيوش في حومة الوغى وانحدرت بهم الى المعامع تناضل نضال النمرات . وكانت الى جانب هذا معبودة الجماهير لطهارة ذيلها وعفتها وحدبها

على المظلومين والضعفاء ، وحنوّها على الذين أخنى عليهم الظلم ، وفعل بهم الاستبداد . كانت حمامة السلام ورسول الشفقة ويد الرحمة ، كلما استعرت نيران البغضاء واستيقظت روح العداء ، وفشت الاخطاء وعمت التعاسة . وبهذه الصفات علّمت « كاترينا سفورزا » الحكم كيف يكون .

تلقت « كاترينا » من التعليم قسطاً وافراً ، على النهج الذي اتبع في ذلك العصر . وكانت التقاليد القديمة قد أخذت تنهار قبيل عصرها ، وتحل محلها تقاليد جديدة . فان نساء العصر الأول — أي عصر ما قبيل النهضة — كنّ محجوبات عن الاشتراك في معضلات الحياة العامة ، والأخذ بقسط في معالجة مشاكل العصر ، على كثرة ما كان فيه من مشكلات . فكان من حظ « كاترينا » أن يقضى قبل عصرها على هذا التقليد ، فيأخذ النساء بضلع وافر من الاشتغال بشئون السياسة والحرب ، وتدبير أمور الدويلات والاحتكام في نزر غير يسير من الظروف التي عدّلت وجه التاريخ الحديث .

بلغت العناية بأمر الثقافة النسوية في عصر « كاترينا سفورزا » أعظم مبالغها . فان سيدات ذلك العصر ، على ما يقول ثقات المؤرخين ، قد تلقين من العلم ومن أساليب التربية والتنشئة ما قد يندر أن يتهيأ لمثيلاتهنّ من بنات عصرنا هذا . فقد برزن في الآداب القديمة وفي اللغتين اليونانية واللاتينية ، قراءة وكتابة وتفقهاً ، كما أعطين قسطاً وافياً من العلم بآداب عصرهنّ ، في بلادهنّ وفي غيرها من البلاد ، وثُقّفن في الفن والعلم والموسيقى والرقص وركوب الخيل والألعاب الرياضية .

ومن مشهورات ذلك العصر « سيسيليا جونزاجا » و « إبولينا سفورزا » عمة كاترينا سفورزا ، وبعد ذلك بسنين قلائل اشتهرت « ايزابلا دسطه » و « إليزابتا جونزاجا » ، وكل منهنّ مثال يحتذى في الثقافة الواسعة والقدرة الشاملة والعبقرية الكاملة . فقد نعلم ان « إبولينا سفورزا » وكانت في الثانية عشرة من عمرها ، قد ألقت خطبة من تأليفها باللغة اللاتينية ، ترحيباً بالبابا « بيوس الثاني » عند ما حلّ ضيفاً على أبيها . وفوق ان « سيسيليا جونزاجا » كانت تكتب اللغتين ، اليونانية واللاتينية ، وتقرؤهما وهي في الثامنة .

( البقية في آخر باب المكتبة )

# نور الدين الشهيد[1]

أيها السادة : ان كنتم قد سلكتم الى هذه القاعة ، طريق العصرونية قادمين من هنا ، أو على قبر صلاح الدين آتين من هناك ، أو مررتم على مدرسة التجارة ، أو جزتم سوق الخياطين ، فاعلموا أن في هذه المسالك التي سلكتموها ، والدروب التي جزتموها ، لأحاديث خالدات من سيرة الرجل الخالد الذي أقبلتم هذه العشية لسماع حديث عنه ، نور الدنيا ونور الدين .

ففي دار الحديث في العصرونية ، في جدرانها القائمة التي تحدّرت من أعاليها القرون الطوال ، وفي ماضيها الفخم الرائع ، وفي مدرسة التجارة ، تلك التي كانت فيما مضى البيمارستان النوري أعني المستشفى العظيم والمدرسة الطبية الكبرى التي أنشأها نور الدين يوم كان الغرب يتيه في أودية الظلام ، وعلى قبر صلاح الدين خليفة ابن زنكي ، وعلى ذلك الجدث المحفوف بالهيبة والجلال ، الماثل في سوق الخياطين الذي يحدث وهو صامت حديث النبل والمفاداة والاصلاح والنصر المؤزر والبطولة النادرة والعبقرية والخلود ، في كل ذلك يا سادة محاضرات هي أبلغ وأجل مما أنا محاضركم به ، محاضرات كلما مرّ الزمان وتقادم العهد ازدادت عظماً وجلالاً ، لا يبلي جدّتها التكرار . ولا يذهب بهاءها كرّ الأعصار .

فيمَ أيها السادة تكون عظمة الرجال ؟ إن كانت في سموّ المواهب ونبل الخصال ، أو كانت في عظم الآثار وجلائل الأعمال ، أو كانت في فضائل النفس ونفاسة الخلال ؟ فان نور الدين عظيم في مواهبه السامية ، وخصاله وآثاره الباقية وأعماله ، وفضائل نفسه ونفاسة خلاله ، عظيمٌ في السلم وفي الحرب ، عظيمٌ في العلم وفي العمل ، عظيمٌ في تواضعه ورفعته ، هو من طراز قلّ أن حظيت بمثاله أمم الارض ، هو أحد الخمسة الذين لم تملك مثلهم أمة غير المسلمين ، ولم يملك المسلمون مثلهم . أبو بكر ، وعمر ، وابن عبد العزيز . ونور الدين ، وصلاح الدين ، رضي الله عنهم أجمعين .

(١) ألقيت في دار المجمع العلمي العربي بدمشق

**أصله** — ولد نور الدين سنة إحدى عشرة وخمسمائة للهجرة من أصل تركي ، وهو ابن زنكي آق سنقر ، وكان جده آق سنقر هذا ، مملوكاً تركياً لملكشاه السلجوقي ، أحد سلاطين الدولة السلجوقية العظام ، حظي بثقته فأصبح من أمرائه المقرَّبين اليه . ومن خواصه الأثيرين عنده ، واعتمد عليه ملكشاه في مهماته وزاد قدره علوّاً الى أن صار يخافه ويتقيه ، فولّاه مدينة حلب وأعمالها وحماه ومنبج واللاذقية ، وأراد بذلك أن يبعده عنه ويأمنه . قال ابن الأثير : ومن الدليل على علوّ مرتبته تلقبه بلقب قسيم الدولة وكانت الألقاب حينئذٍ مصونة لا تعطى إلاّ لمستحقيها . ولم يكن ابنه عماد الدين زنكي أبو نور الدين ، بأقلّ منه ذكاء وعلو همةً وشجاعةً وطموحاً . ويكفيه فخراً انه مؤسس الدولة الأتابكية ومن الأمراء المشهورين بالحزم والاستقامة ، وكان ذا يد طولى في محاربة الصليبيين والثبات أمامهم ودحرهم في كثير من الميادين ، وقد اشتهر بصفات كريمة كالعدل بين الرعية والوفاء والرحمة والشفقة وبُعد النظر في سياسة الملك ووفرة الذكاء والهيبة وحب الخير والصدقات . هذا الى جانب همته وطموحه ومعرفته قدر الرجال وحبّه للاصلاح وشجاعته وإقدامه في الحروب وساحات الجهاد ، ولقد تسلَّم زمام الحكم والأمر فوضى ، وبلاد الشام نهب مقسَّم بين عدَّة من الأمراء يتحاربون ويتقاتلون لينال أحدهم من الآخر قطعة من الأرض يضمها الى ملكه الصغير ، بينما كان الصليبيون يفتكون بالناس . ويفتحون المدن الاسلامية ويدمرونها ويذيقون أهلها أنواع العسف والجور والبلاء والعذاب ، فاستطاع زنكي بعقله الكبير ودهائه وحسن تدبيره أن ينقلب من أمير صغير للموصل الى ملك يحكم قسماً كبيراً من سورية الشمالية وينشئ جبهة منيعة أمام الصليبيين وأن يهاجمهم ويردهم عن كثير من المدن التي استولوا عليها ، ولولا همته وإخلاصه لكان من الممكن أن يجتاح الصليبيون سورية كلها ويثبتوا فيها وينتقلوا منها الى البلاد الاسلامية الأخرى . ولقد كان من حسن حظ الاسلام أن يخلف زنكيّاً ، بطل عظيم وملك كبير هو نور الدين الذي كانت سيرته وما تزال نبراساً يهتدي به المخلصون .

**منشؤه** — نشأ نور الدين في حجر أبيه وفي كنفه ، كما ينشأ أقرانه ولداته أبناء الأمراء ، فتعلم القرآن الكريم وحفظه ، وأتقن قواعد الفروسية والرمي ، وتلقى العلوم على مشهوري علماء عصره ، وقرأ تاريخ الأمم الاسلامية وسير أبطالها الخالدين ، وكان ذا ذكاء وافر ، وجلد على الدرس والتحصيل ، راغباً في معالي الأمور عازفاً عن وضيعها وسفسافها ، وكان يحضر مجالس أبيه ويصغي الى ما يدور فيها من توجيه لسياسة الدولة ويبدي فيها آراء صائبة يسر بها أبوه وتقر به عينه ، وكان أبوه ذا عناية خاصة به ، يطلعه على ما خفي عليه من أمور

الحكم ويبين له أقوم الطرق فيه ، ويدربه عليه ، فلما قتل أبوه سنة إحدى وأربعين وهو محاصر جعبر أخذ خاتم والده وهو ميت من أصبعه وجمع جنوده وركب من ساعته الى حلب فملكها واستقرّ فيها ، وفي سابع يوم من استقراره فيها بلغه أن بيمونت صاحب انطاكية خرج قاصداً حلب ، وأغار على ضواحيها وعاث فيها فساداً وكان الناس آمنين ، فقتل وسبى خلقاً عظيماً فأرسل اليه نور الدين جيشاً غلبه ودحره واستنقذ كثيراً من الأسرى ، وهاجم بعض بلاد الصليبيين واستولى عليها ، ولا ريب أن دفاع نور الدين هذا ، في اليوم السابع من توليته ، دلنا على بعد همته ، وقوة عزيمته ، واخلاصه في رفع شأن مملكته ورد من تحدثه نفسه بالنيل منها .

ولقد قضى حياته كلها وهو في حروب دائمة مع الصليبيين ، كان النصر حليفاً له في أكثرها وأخافهم وطردهم من أكثر المدن الاسلامية التي استولوا عليها ، ولا يسمح لنا الوقت يا سادتي بذكر كل وقائعه ووصف بلائه الحسن فيها لأن ذلك يحتاج الى مجلدات ضخام ولكني ذاكر لكم بعضها لتعرفوا مقدار شجاعته وقوة نضاله .

أشهر وقائعه — من أشهر وقائعه وقعة « آنب » التي كانت في صفر عام ٥٤٤ إذ حشد فيها الصليبيون حشداً كبيراً ، فذهب اليهم نور الدين في ستة آلاف فارس وقاتلهم قتال الأبطال وهزمهم وصرع أميرهم البرنس وهو أبو بيمونت الذي سبق ذكره وكان مشهوراً بشدة البأس وقوة الحيل وكثرة السطوة وبغضه الشديد للمسلمين فقطع نور الدين رأسه وغنم غنائم عظيمة وظهر من نور الدين من الشجاعة والصبر في هذه الوقعة على حداثة سنه ما تعجب منه الناس واستطاع نور الدين في واقعة أخرى أن يأسر جوصلين Jocelyn الذي كان من شياطين الصليبيين وأبطالهم وأكثرهم عداوة للمسلمين ، وكان أسره من أعظم النعم على المسلمين ، وأصيب الصليبيون بفقده — كما يقول العماد الكاتب — وعظمت المصيبة عليهم به وخلت بلادهم من حاميها وحافظها .

ومن أعظم وقائعه افتتاح دمشق والاستيلاء عليها ، وقد استولى على حارم وبانياس بعد معارك هائلة أبلى فيها أحسن البلاء وافتتح حصون الفرنج الشمالية واحداً بعد واحد .

ومن أعظم وقائعه فتح مصر أيضاً بعد حروب شداد . إذ أن جيوش الصليبيين هاجموا مصر وحاصروا القاهرة فدافع المصريون عنها دفاعاً مجيداً بعد أن رأوا ظلم الصليبيين وقتلهم الناس وسبيهم النساء . ثم صالحهم شاور صاحب مصر على مليون دينار خوفاً من نور الدين ، وكان خليفة مصر العاضد قد أرسل في هذه الأثناء الى نور الدين يستغيث به ويطلب منه النجدة وأرسل اليه في الكتب شعور النساء وقال له هذه شعور نسائي يستغثن

بك فأرسل اليه نور الدين جيشاً جراراً غلب الصليبيين وقتل شاور واستولى على البلاد المصرية .

شجاعته — ولقد كان نور الدين في كل وقائعه وحروبه بطلاً مغواراً وفارساً مقداماً ، لا يعرف الجبن ولا الهلعة يقول عنه العماد الكاتب : كان في الحرب ثابت القدم حسن الرمي صليب الضرب ، يقدم أصحابه ويتعرض للشهادة وكان يسأل الله تعالى أن يحشره في بطون السباع وحواصل الطير ويقول عنه ابن كثير : كان أصبر الناس في الحرب وأحسنهم مكيدة لم يرَ على ظهر فرس قط أشجع ولا أثبت منه . وقال نور الدين عن نفسه : إذا كان معي ألف فارس فلا أبالي بهم — أي بالأعداء — قلوا أو كثروا ، ووالله لا أستظل بجدار حتى آخذ بثأر الاسلام وثأري . وقال عن نفسه أيضاً : قد تعرَّضت للشهادة غير مرة فلم يتفق لي ذلك ، ولو كان فيَّ خيرٌ ولي عند الله قيمة لرزقنيها والأعمال بالنية . ولقد حدث في إحدى الوقائع أن تجمع الأعداء وزحفوا على المسلمين والتقى الجمعان ففشل بعض جنود الطليعة واندفعوا وتفرَّقوا بعد الاجتماع وانفضوا عن نور الدين فبقي ثابتاً في الميدان مع عدد يسير من الشجعان وأطلقوا على العدو السهام فقتلوا منه عدداً كثيراً فولى الأعداء منهزمين خوفاً من كمين يظهر عليهم من جيش المسلمين ، ونجا نور الدين وعاد إلى مخيمه سالماً . ومما يدل على شجاعته وجرأته أن مخاضة في دجلة اعترضته في إحدى حروبه فاستسهل خوضها ، قال راوي القصة : سار أمامنا دليل تركماني وهو يقطع دجلة ونحن وراءه كخيط واحد لا نميل يميناً ولا يساراً حتى اجتزنا الماء برحالنا وأثقالنا وخيلنا وبغالنا وجمالنا ، فاستعظم أهل تلك البلاد عملنا وما خطر ببالهم أنا نعبر بغير مراكب فتكلموا في المصالحة .

ولقد كان نور الدين محبـّاً للجهاد في سبيل الله والذود عن بيضة الاسلام وإنقاذ المسلمين من شر الحملات الصليبيـة المتدفقة كالسيل ، وقد نذر حياته للجهاد والدفاع عن الاسلام وبلاده . نزل مرة بجسر الخشب وأرسل الى أمير تلك البلدة يقول : انني ما قصدت بنزول هذا المكان طلباً لمحاربتكم وإنما دعاني الى هذا الأمر كثرة شكاية المسلمين من أهل حوران والعربان بأن الفلاحين أخذت أموالهم وسبيت نساؤهم وأطفالهم بيد الافرنج وعدم الناصر لهم ، ولا يسعني مع ما أعطاني الله وله الحمد من الاقتدار على نصرة المسلمين وجهاد الصليبيين وكثرة المال والرجال أن أقعد عنهم ولا أنتصر لهم مع معرفتي بعجزكم عن حفظ أموالكم . وسار مرَّة الى الموصل فأرسل له أميرها يقول : إن هذه البلاد للسلطان ولا سبيل لك اليها . فأجاب الرسول قائلاً : قل لصاحبك انك قد ملكت النصف من بلاد الاسلام وأهملت الثغور وبليت أنا وحدي بأشجع الناس الفرنج فأخذت بلادهم وأسرت ملوكهم

فلا يجوز لي أن أتركك على ما أنت عليه إذ يجب عليّ القيام بحفظ ما أهملت من بلاد الاسلام وإزالة الظلم عن المسلمين. وعاد من الموصل الى الشام بعد عشرين يوماً فسئل عن سبب إسراعه في العود فقال: يمنعني أنني هناك لا أكون رابطاً للعدوّ وملازماً للجهاد. وجرى في مجلسه مرة ذكر طيب دمشق ورقة هوائها وجمال أزهارها فقال: إن حب الجهاد يسليني عنها فما أرغب فيها.

ايمانه الصادق — وكان يجاهد بعزيمة لا تعرف النصب، وهمة لا تدري معنى الراحة وإيمان راسخ واعتقاد بالله متين، وكان يستعين كثيراً بهذا الايمان في جهاده ويعدّه السبب الأول في النصر والغلبة. يروي عنه العماد الكاتب انه لما التقى الجمعان في موقعة حارم، انفرد تحت التل وسجد لربه عزّ وجلّ ومرّغ وجهه وتضرّع وقال: يا رب، هؤلاء عبيدك وهم أولياؤك وهؤلاء عبيدك وهم أعداؤك، فانصر أولياءك على أعدائك، إيش فضول محمود - اسم نور الدين - في الوسط؟ وقال أيضاً: اللهمّ انصر دينك ولا تنصر محموداً، من هو محمود الكلب حتى ينصر؟ وقد نصر في تلك الموقعة نصراً مؤزراً بجيش صغير. إذ أن جيشه كان في ذلك الوقت يهاجم مصر.

وأصيب أخوه نصرة الدين مرة بسهم أذهب إحدى عينيه، فلما رآه نور الدين قال له: لو كشف لك عن الأجر الذي أعدّ لك لتمنيت أن تذهب الأخرى. وقرىء عليه مرة جزء من حديث كانت له به رواية، وذلك حين نزل الصليبيون على دمياط في مصر، فجاء في جملة تلك الأحاديث حديث مسلسل بالتبسم، فطلب منه بعض طلبة الحديث أن يبتسم لتتمّ السلسلة على ما عرف من عادة أهل الحديث، فغضب من ذلك وقال: إني لأستحي من الله تعالى أن يراني متبسماً والمسلمون محاصرون بالفرنج. وقال له اصحابه مرة إنّ لك في بلادك إدرارات كثيرة وأوقافاً وصلات عظيمة للفقهاء والفقراء والقرّاء والمتعبدين، فلو استعنت بها لكان أمثل فغضب وقال: إني والله لأرجو بأولئك النصر، كيف أقطع صلات قوم يقاتلون عني وأنا نائم في فراشي بسهام لا تخطىء، وأصرفها إلى من يقاتل عني إذا رآني بسهام قد تخطىء وقد تصيب؟ ثم هؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال أصرفه اليهم، كيف أعطيه غيرهم؟ فسكتوا.

ورعه وعبادته وتحنثه — ويظهر إيمان نور الدين في كثرة تعبده وتحنثه، فقد كان يصلي كثيراً من الليل، وكان من عادته أنه كان ينزل إلى المسجد بغلس، ولا يزال يركع فيه حتى يصلي الصبح. قال أبو الفتح الأشتري: بلغنا بأخبار التواتر عن جماعة يعتمد على قولهم أنه كان أكثر الليالي يصلي ويناجي ربه مقبلاً بوجهه عليه ويؤدي الصلوات الخمس في أوقاتها بتمام

شرائطها وأركانها وركوعها وسجودها . وقال عبد الله نوري — وهو أحد مماليكه — كان نور الدين محمود رحمه الله يلبس في الليل مسحاً ويقوم يصلي فيه قطعة من الليل ، وكان يرفع يديه إلى السماء ويتضرّع ويبكي ويقول : إرحم العشار المكاس . وكان متتبعاً للآثار النبوية حريصاً على فعل الخير ، وقام باصلاحات دينية كثيرة منها انه منع شرب الخمر وبيعها في جميع بلاده ومنع إدخالها الى دياره ، وكان يحد شاربها الحد الشرعي ، كل الناس عنده فيه سواء ، ولم يمكن أحداً من إظهار ما يخالف الدين وكان يقول في ذلك : نحن نحفظ الطرق من لصٍّ وقاطع طريق والأذى الحاصل منهما قريب ، أفلا نحفظ الدين ونمنع عنه ما يناقضه وهو الأصل ؟. وحكي أن إنساناً بدمشق يعرف بيوسف بن آدم كان يظهر الزهد والتنسّك وكثر أتباعه ، أظهر شيئاً من التشبيه ، فبلغ خبره نور الدين فأحضره وأركبه حماراً وأمر بصفعه وطاف به في البلد ونودي عليه : هذا هو جزاء من أظهر في الدين البدع ، ثم نفاه من دمشق .

هيبته — ويروي المؤرخون انه لما أبطل حيّ على خير العمل في الأذان في حلب ، واستبدل بها حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح ، ومنع التظاهر بسب الصحابة ، عظم ذلك على الاسماعيلية وضاقت له صدورهم وهاجوا وماجوا ، ثم سكنوا وأحجموا للخوف من السطوة النورية المشهورة والهيبة المحذورة

حب الناس له — وقد أحبّ الناس نور الدين حبّاً عظيماً وتعلقوا به وانقادوا له حتى بلغ من حبهم له أن راحوا يفدونه بالأرواح : حدث مرّة أن الافرنج غافلوا المسلمين وهاجموهم من وراء الجبل ، فلم يطق المسلمون دفعهم فانهزموا ، ووضع الفرنج السيف وأكثروا القتل والأسر ، وقصدوا خيمة نور الدين فخرج عجلاً وركب فرساً وحده ، وكان في رجل الفرس شبحة ، فنزل رجل من الأكراد فقطعها فنجا نور الدين وقتل الكردي ، ولولا تضحية الكردي بنفسه لقتل نور الدين . ولما عزم على فتح بانياس قدم دمشق في إخراج آلات الحروب وتجهيزها الى العسكر ، وأمر بالنداء بدمشق في الغزاة والمجاهدين ، فتبعه من الأحداث والمطوّعة والفقهاء والصوفية والمتدينين خلق كثير . وأصابه مرة مرض حادّ عام ٥٢ فقلقت النفوس وجزعت القلوب وتفرّقت جموع المسلمين واضطربت الأعمال حتى شفي فاطمأن الناس وفرحوا بشفائه فرحاً عظيماً .

ولما عزم نور الدين على فتح حارم أرسل كتباً إلى الامراء يطلب منهم الاشتراك معه في الجهاد فلما قرأ فخر الدين قرا أرسلان كتابه قال له خواصه على أي شيء عزمت ؟ قال على القعود ، فان نور الدين قد تحشّف من كثرة الصوم والصلاة فهو يلقي بنفسه والناس معه

في المهالك ، فلما كان من الغد أمر بالنداء في العسكر بالتجهز للغزاة فقال له خواصه ، ما عدا مما بدا ؟ فارقناك بالامس على حال ونرى الآن ضدها فقال إن نور الدين قد سلك معي طريقاً إن لم أنجده خرج أهل بلادي عن طاعتي وأخرجوا البلاد عن يدي . فقد كان زهادها وعبّادها والمنقطعون عن الدنيا يذكر لهم ما لقي المسلمون من الفرنج ويطلب منهم أن يحثوا المسلمين على الغزاة فقد قعد كل واحد من أولئك ومعه اتباعه وأصحابه وهم يقرأون كتب نور الدين ويبكون ويلعنونني ويدعون عليّ فلا بدّ من إجابة دعوته .

وكيف لا يحبه الناس ويتعلّقون به ويفدونه بالغالي والنفيس وهو الذي أسس دولة وبنى ملكاً وشاد مجداً واستطاع بذكائه وإخلاصه أن يخلص البلاد الاسلامية من شر حملات كانت تتدفق على هذه الديار كالسيل الهادر ؟ وكيف لا يحبونه ويلقبونه بالملك العادل وهو الذي سار في الناس سيرة ذكرتهم بعهد العمرين عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ونشر المساواة بينهم وأخذ للضعيف بحقه من القوي المعتدي ، وبذل قصاري جهده في سبيل الترفيه عن الرعية ونشر الأمن والرخاء والسعادة فيهم . لقد دعي بحق الملك العادل وإن سيرة عدله لتعد من أعظم سير الملوك وأروعها .

ورعه — وكان رحمه الله ورعاً ، فانه مع سعة ملكه وكثرة ذخائر بلاده وأموالها ، كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرّف فيما يخصه الاّ من ملك كان له ، قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الأموال المرصدة لصالح المسلمين : أحضر الفقهاء واستفتاهم في أخذ ما يحل له من ذلك فأخذ ما أفتوه بحلّه ولم يتعده الى غيره .

قال ابن الأثير : حكى لي من أثق به أنه دخل يوماً الى خزانة المال ، فرأى فيها مالاً أنكره فسأل عنه فقيل له إن القاضي كمال الدين ارسله وهو من جهة كذا . فقال : إن هذا المال ليس لنا ولا لبيت المال في هذه الجهة شيء وأمر برده وإعادته الى كمال الدين ليرده على صاحبه ، فأرسله متولي الخزانة الى كمال الدين فرده الى الخزانة وقال : إذا سأل الملك العادل عنه فقولوا له عني إنه له فدخل نور الدين الخزانة مرة أخرى فرآه فأنكر على النواب وقال : ألم أقل لكم يعاد هذا المال على أصحابه ؟ فذكروا له قول كمال الدين فرده اليه وقال للرسول : قل لكمال الدين أنت تقدر على حمل هذا المال ، وأما أنا فرقبتي دقيقة لا أطيق حمله والمخاصمة عليه بين يدي الله تعالى ، يعاد قولاً واحداً .

صدقاته وهباته — وكان كثير الهبات والصدقات ، يعطي من يتوسم فيه الخير والحاجة . حكي عنه أنه حمل إليه من مصر عمامة من القصب الرفيع مذهبة ، فلم يلتفت اليها ، وبينما الحاضرون معه في حديثها إذ جاءه رجل زاهد فأمر له بها . فقيل له إنها لا تصلح لهذا الرجل

ولو أعطي غيرها كان أنفع له ، فقال : أعطوها له فاني أرجو أن أعوَّض عنها في الآخرة ، فسلمت اليه فسار بها الى بغداد فباعها بستمائة دينار .

وحُسب ما تصدق به على الفقراء قبيل وفاته بأشهر قليلة فزاد على ثلاثين ألف دينار ، وكانت عادته في الصدقة أنه يحضر جماعة من أماثل البلد من كل محلة ويسألهم عمن يعرفون في جوارهم من أهل الحاجة ثم يصرف اليهم صدقاتهم . وكان يصرف ما خصص له من المال في كل شهر في نفقاته وحوائجه ، وما زاد معه في آخر الشهر تصدَّق به على الفقراء .

وحضر صبي وبكى عند الملك العادل وذكر أن أباه محبوس على أجرة حجرة من حجر الوقف فسأل عن حاله فقالوا : هذا الصبي ابن الشيخ أبي سعد الصوفي وهو رجل زاهد قاعد في حجرة للوقف وليس له قدرة على الأجرة ، وقد حبسه وكيل الوقف لأنه اجتمع عليه أجرة سنة . فسأل الملك العادل : كم أجرة السنة ؟ فقالوا : مائه وخمسون وذكروا سيرته وطريقته وفقره ، فرقّ له وأنعم عليه وقال : نحن نعطيه كل سنة هذا القدر ليصرفه الى الأجرة ويقعد فيها . وتقدم بذلك وباخراجه من الحبس ، فوصل الى قلب كل واحد من الحاضرين الفرح حتى كأن الانعام كان في حقه .

عدله — قال ابن الأثير : لقد كان نور الدين يتحرَّى العدل وينصف المظلوم من الظالم كائناً من كان القوي والضعيف عنده في الحق سواء ، وكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يكل ذلك الى حاجب ولا أمير . وان أخبار عدله وحوادثه كثيرة لا يمكن أن تحصى ، ولقد قرأت منها الشيء الكثير فامتلأت نفسي إكباراً له واعجاباً به . وبحسبي أن أورد لكم حادثة منها . قال العماد الكاتب : كان نور الدين بدمشق يلعب بالكرة ليروّض خيله ويمرّنها ، فرأى رجلاً يحدث آخر ويشير بيده الى نور الدين فأرسل اليه يسأله عن حاله فقال : لي مع الملك العادل حكومة ، وهذا غلام القاضي ، فألقى نور الدين الجوكان من يده وخرج من الميدان وسار الى القاضي وهو حينئذٍ كمال الدين الشهرزوري وأرسل الى القاضي يقول له : انني قد جئت محاكماً فاسلك معي مثل ما تسلكه مع غيري ، فلما حضر ساوى بينه وبين خصمه وحاكمه فلم يثبت عليه حق وثبت المُلك لنور الدين ، فقال نور الدين حينئذٍ للقاضي ولمن حضر : هل ثبت له عندي حق ؟ قالوا : لا . قال : اشهدوا أنني قد وهبت له هذا المُلك الذي حاكمني عليه وهو له دوني ، وقد كنت أعلم انه لا حقّ له عندي وإنما حضرت معه لئلاّ يظن أني قد ظلمته . فحيث ظهر أن الحق لي وهبته له .

وهذا كما يقول راوي القصة مستكثر من ملك متأخر بعد فساد الزمان وتفرُّق الكلمة . أجل إنه لمستكثر ، وهل سمعتم في عصرنا هذا ، عصر المدنية والنور ، أن ملكاً أو أميراً أو وزيراً

وقف الى جانب خصم غير ذي مكانة أمام الحاكم أو القاضي.

ولقد قال نور الدين: انني أفكر في والٍ وليته أمراً من أمور المسلمين فلم يعدل فيهم، أو فيمن يظلم المسلمين من أصحابي وأعواني، وأخاف المطالبة بذلك، ثم قال للعبدين الواقفين على رأسه: بالله عليكما لا تريان قصة ترفع إليّ أو تعلمان مظلمة إلاّ أعلماني بها، وارفعاها إليّ، وإلاّ فخبزي عليكما حرام.

ولكثرة تحريه العدل بنى دار العدل بدمشق وعيّن لها موظفين ورسم لها ميزانية خاصة وصارت هذه الدار ملجأً للمظلومين من أقاصي البلاد، وكان يقعد فيها في الاسبوع الواحد أربعة أيام أو خمسة لكشف الظلامات والنظر في أمور الرعية، لا يطلب بذلك درهماً ولا ديناراً يرجعان الى خزانة، بل كان يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله. وكان يأمر بحضور العلماء والفقهاء الى جانبه ويأمر بازالة الحاجب والبواب ليصل اليه الضعيف والقويّ والفقير والغنيّ. قال أبو الفتح الأشتري الفقيه: كانت تحضر مجلسه العجوز الضعيفة التي لا تقدر على الوصول الى خصمها ولا التكلم معه فيأمر بمساواته لها فتغلب خصمها طمعاً في عدله ويعجز الخصم عن دفعها خوفاً من عدله.

ومن أعجب ما ورد عن عدله أنه عدل بعد موته، وذلك أن رجلاً غريباً استوطن دمشق لما رأى من عدل نور الدين، فلما توفي نور الدين اعتدى بعض الجنود على هذا الرجل فشكاه فلم ينصف فنزل من القلعة وهو يستغيث ويبكي وقد شقّ ثوبه وهو يقول: يا نور الدين لو رأيتنا وما نحن فيه من الظلم لرحمتنا أين عدلك؟ وقصد قبر نور الدين ومعه من الخلق ما لا يحصى وكلهم يبكي ويصيح، فوصل الخبر الى صلاح الدين فقيل له احفظ البلد والرعية وإلاّ خرج عن يدك، فأرسل الى ذلك الرجل وهو عند قبر نور الدين يبكي والناس معه وطيّب قلبه ووهبه شيئاً وأنصفه فبكى أشد من الأول فقال له صلاح الدين: ما يبكيك؟ قال أبكي على سلطان عدل فينا بعد موته. فقال صلاح الدين هذا هو الحق، وكل ما ترى فينا من عدل فمنه تعلمناه.

ودخل عليه غلامه مرة وأبلغه أن القاضي يطلبه الى مجلس الحكم للحكم بينه وبين تاجر ادعى عليه شيئاً. فقال نور الدين يُحضر فرسي حتى نركب إليه، السمعَ والطاعة. قال الله تعالى إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا، ثم نهض وركب حتى دخل باب المدينة فاستدعى الخادم وقال له: إمض إلى القاضي وسلّم عليه، وقل له إنني جئت إلى هنا امتثالاً لأمر الشرع وأحتاج في الحضور إلى مجلسه إلى سلوك هذه الأزقة وفيها الأطيان، وهذا وكيلي يسمع الدعوى. وإن توجهت عليّ يمين أحضر إن شاء الله

تعالى ، فحضر الوكيل وسمع الدعوى وتوجّهت اليمين فقال : القاضي : قد توجهت اليمين فليحضر . فلما بلغ نور الدين ذلك وعلم أنه لا مندوحة عن حضور مجلسه لليمين استدعي ذلك التاجر الخصم وأصلح الأمر فيما بينه وبينه وأرضاه .

ومن عدله أنه لم يكن يعاقب العقوبة التي يعاقب بها بعض الملوك على الظنّة والتهمة بل يطلب الشهود على المتهم ، فإن قامت البينة الشرعية عاقبه العقوبة الشرعية من غير تعدٍّ ، فدفع الله بهذا الفعل عن الناس من الشر ما يوجد في غير ولايته ، وآمنت بلاده على سعتها وقلّ الشر والفساد .

ودخل حلب ، في عهد نور الدين ، تاجر موسر ، فمات بها وخلّف ولداً صغيراً ومالاً كثيراً . فكتب أحد الناس إلى نور الدين يذكر له أنه قد مات ها هنا تاجر موسر وخلّف عشرين ألف دينار ، وله ولد عمره عشر سنين وحسّن له أن يرفع المال الى الخزانة إلى أن يكبر الصغير يرضيه منه بشيء ويمسك الباقي للخزانة فكتب نور الدين على رقعته : أما الميت فرحمه الله ، وأما الولد فأنشأه الله ، وأما المال فثمّره الله ، وأما الساعي فلعنه الله !

وكتب باسقاط المكوس والضرائب وقال والله ما أخذناها إلاّ في جهاد عدوّ الاسلام ، يعتذر بذلك للناس عن أخذها ، ومنع ما كان يؤخذ من أهل دمشق من المغارم بدار البطيخ وسوق الغنم والكيالة وغيرها وأذاع منشوراً طويلاً يبطل فيه جميع المظالم .

وخدم نور الدين الاوقاف الاسلامية خدمات جلّى فرتبها ونظّمها وأشرف عليها ولم يدع درهماً واحداً يضيع منها ، وكانت الأوقاف في زمنه تسعة آلاف دينار في كل شهر كلها ملك صحيح شرعي ، وأما ما كان يهدى إليه من هدايا الملوك وغيرهم فانه كان لا يتصرف في شيء منه بل إذا اجتمع يخرجه الى مجلس القاضي ويحصل ثمنه ويصرفه في عمارة المساجد المهجورة ، فهل وجدتم نزاهة أعظم من هذه النزاهة ؟ أما المساجد والمدارس والبيمارستانات والقلاع التي شادها وبناها فأكثر من أن تحصى ، وإن دمشق اليوم لا تزال شاهدة على خدماته ناطقة بها ، ولا تزال المدارس والمساجد النورية قائمة في المدن السورية كحلب وحمص وحماة ومنبج لم تفنها يد الزمان بعد ، وقد كان البيمارستان ذا ماضٍ زاهر وكثير الخرج وقفه نور الدين على المسلمين كافة ، وان الخانات التي نراها مبثوثة بين المدن السورية كانت ملجأً لكثير من المنقطعين والمسافرين ، وان الربط والخانقاهات والمدارس والأوقاف المخصصة لها أشهر من أن تذكر . وهو أول من بنى داراً للحديث ووقف عليها وعلى من بها من المشتغلين بعلم الحديث وقوفاً كبيرة ، وهي دار الحديث النورية التي لا تزال إلى اليوم قائمة في سوق العصرونية وقد كانت أوسع مما هي عليه اليوم بكثير .

وكان يجمع العلماء والشيوخ عنده ويقرّبهم ويدنيهم ويتواضع لهم . ويعظمهم ويوقرهم

ويطلب إليهم البحث والمناظرة ، فقصدوه من البلاد الشاسعة كخراسان وغيرها ، وكان أهل الدين عنده في أعلى محل وأرفع مكانة ، وكان أمراؤه يحسدونهم على ذلك وكانوا يقعون عنده فيهم فينهاهم وإذا نقلوا عن إنسان عيباً قال لهم ومن المعصوم ؟ إنما الكامل من تعد ذنوبه . ولقد كانت الشام خالية من العلم وأهله . وفي زمانه صارت مقرّاً للعلماء والفقهاء والصوفية ، ولم يكن أحد من الأمراء يجلس عنده بلا إذن بل يقفون بين يديه حتى يأذن لهم ، فإذا دخل أحد من الفقهاء أو الفقراء قام لهم ومشى خطوات وأجلسه معه على سجادته في وقار وسكون . واذا أعطى أحداً منهم شيئاً مستكثراً يقول : هؤلاء جند الله . وبدعائهم ننصر على الأعداء، ولهم في بيت المال حق أضعاف ما أعطيهم ، فاذا رضوا منا ببعض حقهم فلهم المنة والفضل

وكان نور الدين حنفي المذهب ، حسن الخط ، كثير المطالعة للكتب الدينية والعلمية وحدث بحلب ودمشق عن جماعة من العلماء أجازوا له ، وله أقوال وحكم منها ما ذكره أحد أتباعه المختصين به قال : كنت معه يوماً في الميدان والشمس في ظهورنا فكلما سرنا تقدمنا الظل ، فلما عدنا صار ظلنا وراء ظهورنا . فأجرى فرسه وهو يلتفت وراءه وقال لي : أتدري لأي شيء أجري فرسي وألتفت ورائي ؟ قلت : لا . قال : قد شبهت ما نحن فيه بالدنيا ، تهرب ممن يطلبها ، وتطلب من يهرب منها .

هذا طرف من سيرة بطل الاسلام ، ولو رحت أعدّد مناقبه وأخلاقه وأعماله العظيمة لأطلت ، ولقد صدق ابن الأثير إذ يقول : قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الاسلام وفيه الى يومنا هذا — فلم أر بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين ، ولا أكثر تحرياً للعدل والانصاف منه ، قد قصر ليله ونهاره على عدل ينشره وجهاد يتجهز له ومظلمة يزيلها وعبادة يقوم بها وإحسان يوليه وإنعام يسديه ، فلو كان في أمة لافتخرت به فكيف ببيت واحد ؟

وروى أبو الفتح الاشتري قال : بلغنا عن جماعة من الصوفية الذين يعتمد على أقوالهم ممن دخلوا القدس للزيارة حكايةً عن الصليبيين وأنهم يقولون : ابن القسيم له مع الله سرّ ، فانه ما يظفر علينا بكثرة جنده وعسكره وانما يظفر علينا بالدعاء وصلاة الليل ، فانه يصلي بالليل ويرفع يده الى الله ويدعو ، فالله سبحانه وتعالى يستجيب له دعاءه ويعطيه سؤله وما يرد يده خائبة فيظفر علينا . قال : فهذا كلام الكفار في حقه .

رحمك الله يا نور الدين فلقد سطرت في سجل التاريخ الاسلامي صفحة ناصعة من صفحات البطولة والمجد ستبقى على توالي الأحقاب نبراساً يستضيء به المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها .

( دمشق ) ناجي الطنطاوي

# في الصيف

بين المصيفين من لا ينتفع بأيامه على الشاطىء .. لانه يسرف في اللهو .. ساهراً بين كؤوس الطلا .. مكباً على موائد الميسر .. صريعاً عند أقدام الغواني .. ناسياً أن أيام المصيف فترة استجمام .. ينبغي أن يهنأ المرء خلالها براحة تامة : نفسية ، وعقلية ، وجسدية.

وكيما تحصل على أوفر نصيب من الصحة .. ضع لعطلتك الصيفية برنامجاً اكتبه على ورقة ونفذه باخلاص وأمانة .. متخذاً أساساً لهذا البرنامج أن أيام الشاطىء هي فترة تختزن في أثنائها النشاط والقوة والصحة للعام بأكمله .

واليك نظاماً اذا راقك اتبعه .. وإلا فضع على غراره ما يناسبك :

١ — استيقظ مع الصباح عند الساعة السابعة .

٢ — بعد غسل أسنانك . . وشرب كوب من الماء على الريق .. تناول منقوع التين، والبلح ، والمشمش ، والقراصية ، والزبيب ، والخروب .

٣ — اذهب الى الشاطىء مشياً على الاقدام . . وتنفس تنفساً عميقاً فى أثناء المسير

٤ — قم على الشاطىء ببعض ألعاب رياضية ربع ساعة

٥ — اسبح ربع ساعة . ولا تخش برودة البحر لانه في الصبح أدفأ منه ظهراً

٦ — خذ حمام الشمس ربع ساعة أخرى ثم عد الى بيتك أو « كابينتك »

٧ — تناول طعام الافطار ، وليكن لبناً ، وفاكهة ، وبليلة مجهزة بالعسل النحل والزبيب والبندق .

٨ — اذا شعرت بالنوم بعد الافطار .. فنم .. ففي المصيف يجب أن تنام ضعف ما تنام في حياتك العادية .

٩ — في وقت الظهيرة عد الى الشاطىء .. وخذ حمامك للثاني بحراً وشمساً .

١٠ — تناول طعام الغداء .. وليكن نوعين من الخضر ولحماً ، أو سمكاً ، أو بيضاً ، وسلاطة ، وفاكهة .

١١ — نم وقت القيلولة ما شئت .

١٢ — فى المساء انس الجلوس في المقاهي . . وسر على الشاطىء حتى تحس التعب ثم عد الى بيتك . واياك أن تنسى التنفس العميق كلما مشيت

١٣ — تناول طعام العشاء : عيشاً مجهزاً من دقيق القمح بأكمله ، وجبنة ،ولبن زبادي، وفاكهة ، وقليلا من البندق

١٤ — ثم اهجع عند العاشرة مساء .. وأنت ممتلئاً نشاطاً وسعادة وقوة .

فهمى عطا الله

# قبر أنخوس آمن

عندما أشرفت بعثتنا من فوق ربوة تطل على سهول طيبة الجافة ، كان يتملكني إحساس قوي بأن هذا الركن المنعزل من صحراء ليبيا يخفي ما كنت ساعياً إلى كشفه منذ سنين عديدة — ألا وهو قبر الملكة ( أنخوس آمن ) قرينة الملك ( توت عنخ آمن ) .

وبعد عدة أشهر فتحنا مخدع الملكة المدفون في نفس ذلك اليوم المشئوم الذي غزا فيه هتلر بولندا ، فاضطررنا أن نسد اللحد بما يحويه من كنز ثمين ، وأرجأنا التنقيب في هذا القبر الكائن في وادي الملكات . والإرل ( تانكارفيل ) يمدنا بالمال اللازم خدمةً لمتحفين اثنين .

وكانت حملتنا الأثرية مؤلفة مني ومن مسَّاح ومصوِّر وجيولوجي وطلاَّب وخدم وأتباع ومن رفاقي الخواص وهم حسن وأحمد ملاحظ العمال واثنين من الأعراب الخبيرين الذين قمت معهم باستكشاف في الصحراء الكبرى وحبيب الطبَّاخ وكانت مؤونتنا تشحن من الأقصر في قارب ثم تنقل الينا بالسيارة

واستكشفنا في أحد الأيام ما أثار دهشتنا حين بان لنا خاتم حجري قد نقش عليه اسم ( أنخوس آمن ) وذلك عند ما كنت وحسن ننقب في المفاوز الغربية من وادي الملكات . فكان دليلاً قاطعاً على وجود القبر غير المكتشف . عندئذٍ مسحنا المكان مسحاً دقيقاً وثبتناه بالخرط بما فيه من صخور مبعثرة وأخاديد وأجراف وكذلك عثرنا على درج لم يظهر منه غير جزء لا يتجاوز الست عقد على حافة صخرة عاتية . ثم انحدرنا الى السهل أنا واحمد وحسن وعلي خادمي الشخصي وحبيب الطاهي ودلفنا الى مخيمنا لجلبنا الحبال والفؤوس والجارف والمناخل وغيرها من الأدوات وعدنا الى المكان فنزلنا عدة درجات أخرى بعد تعب شديد اكتشفنا على أثره ممرّاً منحدراً مليئاً بالأنقاض .

واستطعنا في اليوم الثاني أن نصل الى المدخل المقفل وان نحدث ثقباً في الجدار القديم

القائم بدون أن نخدش آثار الخاتم وآنسنا عند تسليط نور المصباح الكهربائي نحو تلك الفتحة ممرًّا ضيقاً آخر قد كدّست فيه الأنقاض أيضاً .

ولم ينقض يومان حتى تمكنّا من ان نحفر حفرة لعمق أربعين قدماً أدّت بنا الى باب ثانٍ موصد ومختوم، ففضضنا الأختام جميعها وأدليت قنديلاً خاصّاً لأختبر احتمال وجود غازات سامة مميتة . فما كدت أفعل ذلك حتى تراقص لهب القنديل بتأثير خروج الهواء الحار الذي كان محبوساً نيفاً وثلاثة آلاف وأربعمائة سنة .

فهتف حسن بانشراح مؤكداً أن هـذا المكان لابدّ أن يكون المدفن الخفي الذي يضم كنوز الملوك .

وكانت مباغتة صفق لها قلبي فرحاً وسروراً عند ما شاهدت وأنا أسلط النور الى الغرفة الصخرية التي يبلغ طولها ٣٠ قدماً وعرضها ١٥ قدماً الكنز البرّاق، كنز عصر الملوك في مصر القديمة ، عند ذلك وسعنا الثغرة بالفؤوس بالمقدار الذي يسمح لنا أن نلج منه ورفاقي العرب خلال العمل يرتلون بعض الآيات القرآنية ويقرأون التعاويذ . ولقـد كان الحرّ شديداً لا يطاق والرمل الخشن يخمش وجوهنا . واني لموجه نور المصباح ، إذا بي أشاهد آثار طبعات أقدام حافية عليه هي من غير شك طبعات أقدام الذين دفنوا الملكة في ذلك العصر .

وأما سرير الملكة الذهبي وكراسيها وتماثيلها وزهرياتها الرخامية وصناديقها المرصعة فكانت تزهو بألوانها وتلمع بطلائها العسجدي واللجيني . وبينما نحن ذاهلون من هذا المشهد الفريد ، إذا بنا نسمع صوتاً غريباً أشبه بالحفيف . فنزلنا ومعنا آلة التصوير ومضخة الرشّ لأني كنت على بينة مما سيحدث إذ علمتني تجربة فتح قبر الملكة ( تن هيتان ) ما ينبغي عليّ تداركه . ان الهواء الجديد الذي اندفع من الخارج كاد يبدل جو الغرفة الميّت ، حيث أخذت المحتويات الثمينة بالتفسخ والتغيرات الكيميائية بالتزايد وأنا أصوّر الغرفة وأرش أوهن الودائع بالمادة الكيميائية المثبتة خشية أن لا يتكرّر ما حدث عند فتح مخدع الملك ( توت عنخ آمن ) إذ استحالت أثمن محتوياته تراباً حيث لم يكن العلم قد توصل في ذلك الوقت الى الحيطة لمثل هذه الطوارىء والحالات .

والمركّب الكيميائي الذي يتزوّد به كل عالم أثري يرشه على العاديات الواهنة فتنصاب في

الحال ولا يتغير ما فيهـا من ألوان وزخارف . وهذا ما فعلته في كل محتويات هـذه الغرفة الخالدة قبل أن يعتريها التلف أو يصيبها التفسخ .

ولبثنا يومين كاملين ونحن نعد الأشرطة اللاصقة وكميات كبيرة من محلول ( الكلوديون ) والبرافين والقطن لحفظ التحف الناعمة وطلبت الى علي أن يذهب الى الأقصر ليجلب باباً فولاذيـاً وأقفالاً محكمـة لسد المدخل . وانقضت أيام كنا نسعى خلالهـا سـعياً حثيثاً ومتواصلاً حتى تمكنا في آخرها من فتح الغرفة الثانية المطمورة .

وكان أول ما حيانا فيها ونحن نسلط الانوار الكشافة منظر يخلب الالباب ويأخذ بمجامع القلوب إذ شاهدنا ثلاثة أسرة مذهبة عاجية وكراسي صغيرة مطعمة بالذهب الابريز وزهريات رخامية قد زينت جميعها بصورة الملكة الراحلة .

وقد عثرنا تحت المخدع على صناديق خاصة بالثياب وأخرى للحلي وكلها مرصعة بالأحجار الكريمة بشكل فني بديع . وقد صنعت من الذهب والفضـة والعاج وضمنها أحقاق لأحمر الخدود والشفاه ومساحيق للوجه وملاقط للشعر ومقصات فضية وسكاكين لتقليم الأظافر ودبابيس ذهبية للضفائر ومرايا عسجدية ومجموعة من الحلي النفيسة كالأساور والخواتم والأقراط والقلائد وغيرها مما لا يمكن تقدير ثمنه قد حفظت بكل الاتقان .

وأخرجنا ثلاثة تيجان متفاوتة الجمال من أحد صناديق الحلي الذي كان موضوعاً بجانب التمثال النصفي للملكة قد غطي تاجان منها بقبعتين تمثلان نسراً ناشراً جناحيه على جانبي الرأس وقبعة للتاج الثالث بهيئة الثعبان المقدّس ( كوبرا ) التي كان يلبسها الملوك والملكات والرهبان فقط كشعار قدسي خاص بهم .

غير ان أثمن ما اكتشفناه من هذا كله صندوق في داخله ملف اسطواني من البابيروس المخطوط دوّن فيه تاريخ حياة الملكة والذي سيقفنا على ما كنا نجهله عن بعض نواحي حياة الملك ( توت عنخ آمن ) حيث لم يعثر عند كشف لحده على مخطوط مماثل يعرفنا قصة حياته .

واستطعنا كذلك أن نخرج العربة الملكية الذهبية وكانت الآثار الظاهرة على عجلاتها تدل على كثرة دورانها في شوارع مدينة طيبة الوعرة .

وأما ثياب الملكة ( انخس آمن ) فوجدناها بالشكل الذي وضعت به تفوح منها ومن

سائر ذخائر الزينة النسائية لذلك العصر روائح المسك والخزامى والياسمين . وانتهى بنا البحث الى اللحد المخفي تحت المخدع بستة عشر قدماً واستطعنا بعد لأي أن نخرم جوانب اللوح الصواني الذي وضع — كما يظهر — قصداً أمام مدخل قبو اللحد . وتمكنا بهدى الأنوار الكشافة أن نرى الناووس الملكي بغطائه الصواني الكبير وقد نثرت من فوقه الأزهار الزاهية .

الاّ أن الدهشة التي اعترتنا — ويا للأسف — من هذا المنظر المفاجىء أذهلتنا فأنستنا أن نختبر احتمال وجود غاز سام في جوّ القبو وقد فطنا اليه بعد فوات الأوان فكان الورد تانكارفيل أول من ترنح فوقع على القطط المحنطة الجميلة وأعقبه كل من حسن وحبيب الذي كان يحمل المصباح بيده غير اني استطعت أن أمسك المصباح في اللحظة الأخيرة قبل أن يسقط وأن أحمل اللورد ( تانكارفيل ) المجروح الى الممر الخارجي بمساعدة أحد الاتباع بالرغم من تغلب الدخان المتصاعد الذي كان يضايق أنفاسي وقد سقط المصباح وأنا أقوم بهذا العبء فصرنا في ظلام دامس ونحن نتسلل الى خارج الحفرة بمشقة .

وكان جرح ( تانكارفيل ) بليغاً في جهة عينه اليمنى وأصيب العمال برضوض من تعثرهم بالناووس من شدة الرعب بما فيهم علي الجبار الذي كان يشق الطريق أمامنا ليبعدنا عن الجو المسموم .

ولم تكد تبزغ شمس اليوم الثاني حتى استطعنا أن نزيح غطاء الناووس فبان لنا صندوق المومياء المصبوغ ولم يكن في الدنيا أجمل أو أدل على الحياة من هذا التمثال الذي ظهر بعد اختفائه آلافاً من السنين وقد كانت نقوشه الموشاة بالذهب فناً قائماً بذاته . وثابرنا على العمل لفتح التابوت — ففتحناه وبدأنا نرفع الأربطة الكتانية بحذر شديد وهي معطرة بالمسك الزكي المصنوع بفن مجهول. فلما أسفر عن وجه الملكة رششنا الرأس الجميل بالمواد الكيميائية اللازمة حالاً وراعنا أن وجدنا أهداب الملكة وحاجبيها تنم عن الحياة وهي بالوضع الذي حنطت فيه وكانت قسمات وجهها ضاحكة .

ان الملكة ( انخوس آمن ) هي البنت الثالثة للفرعون ( آمن حوتب ) الرابع والملكة ( نفرتيتي ) ماتت وهي في الربيع السادس والثلاثين كما يرويه سجل البابيروس المكتشف في قبرها .

كان الوجه مغمماً وملفوفاً باعتناء بشريط ملوّن ولا شيء أدل على مهارة أولئك الصناع وحذقهم من اظهارهم حتى ظلال الأهداب على الوجه وصنع الاقراط الذهبية بوضع نقطار قطرات عطرية على الكتفين عند أية حركة .

وكان اللورد ( تانكارفيل ) يصوّر كل مرحلة من مراحل فك أربطة المومياء وشرعت أرفع رباط العنق المزين بالجواهر وقطعتها عند الكتف الايمن . وبينما أنا في عملي هذا لاح لي خاتم في أصبع الملكة فيه شعار العين المقدسة انحنيت لأفحصه وأنا يتملكني العجب . واني لكذلك وقد بهرتني أصابع الملكة الرقيقة إذا باليد اليمنى تتحرّك فتوقفت أنفاسنا من روع الحادث وهوله ويد الملكة الجميلة مستمرّة في الارتفاع فأخذنا نتقهقر نحو الباب كالمجانين فانقلبت قوائم آلة التصوير على المومياء وخدشت جانب التابوت الثمين .

وتعلل حركة يد الملكة بتبدل جوّ القبو . وذلك عند ما لامس الهواء الجديد جسم المومياء المحتبس منذ آلاف سنين تحركت العضلات والمفاصل المتشنجة تبعاً لهذا التغير الطارىء وقد حدث مثل هذا لمومياء رعمسيس الثاني عند الكشف عنها .

ولما تلاشت قوى اللورد ( تانكارفيل ) من جراء جرحه في اليوم الثاني من فتح مومياء الملكة نقل الى الأقصر ومنها الى القاهرة وعدت فغطيت تابوت المومياء المخدش وأطبقت عليه غطاءه الصواني الذي يزن طنين والمخطوط بالهير وغليفية .

وأرجعنا محتويات اللحد الى مخبئها الأصلي وأحكمنا المنافذ بالاسمنت المسلح وختمنا المدخل السري وواريناه بالانقاض والتراب .

وقد مات كل من ( اللورد تانكارفيـل ) واحمد من تسمم جراحهما الذي سببته على ما أعتقد جرثومة سامة كانت موجودة في جوّ القبو المسموم . ولو أن الناس هنـاك يعزون ذلك الموت الى انتقام الفراعنة كما سبق ان مات الإرل ( كارنارفون ) في حالة مماثلة عند فتحه مومياء الملك ( توت عنخ آمن ) واذا ما عدنا الى وادي الملكات في المستقبل فسنتزوّد بعقاقير من السولفا والبنسلين لعلاج مثل هذه التسممات الطارئة . وأكبر ظني بعد ذلك ان العالم سوف لا يسمع بموت عالم أثري من جراء انتقام الفراعنة .

العراق . بغداد فخر الدين العميري
المفتش في ديوان وزارة المعارف

# حقيقة الضويئات

— ١ —

جاء في عدد المقتطف الأغر الصادر في يونيو من سنة ١٩٤٦ مقالة عنوانها « ماهي الفوتونات » للاستاذ نقولا حداد. فأورد الأستاذ حقائق مشوّهة أردت أن يبينها.

ولست أدري من أي ناحية آخذ الاستاذ في مقاله، أمن الناحيـة التي لم يقوَ بها على تفسـير الضويئات، أم من عدم تمكنه من تفسير الـكميات الفيزيقية، أم من اسناده لبعض العلماء أقاويل دون أن يكون لهم أي علم بما نسبه اليهم.

يسأل الأستاذ في مقاله « ما هي الأشعة » ؟! ويريد أن يفسر أشعة اكس وكل أشعة أخرى فيقول « هي تموجات ايثرية أو هي جسيمات متموجة ».

فالتموجات الايثرية لا وجود لها في الفيزيقا الحديثة وان هذه المادة المزعومة أصبح لا وجود لها اليوم سوى اسمها. فالأشعة — كما نعلم — نوعان إما أمواج كهرطيسية أو دقائق ( جسيمات ) كما ذكر الأستاذ. وقد نحصل على أشـعة اكس من أي مادة كانت اذا أطلقنا عليهـا قذائف من الالـكترونات بسرعة هائلة، لأن الالـكترونات عنـد تصادمها بذرات المادة تشع.

أما الضويئات فقد نقل الأستاذ قول جينز عنهـا في كتابه « الـكون الغامض » وقد استشهد الأستاذ بهذا الـكتاب غير مرّة مما يظهر انه المرجع الوحيد أو الأكبر الذي توصل اليه الاستاذ في تفسير الضويئات.

السير جيمز جينز حجة وعالم كبير وله نظريات في العلم الحديث ندين له بها. ولكن كتابه الكون الغامض لا يستحق أن يكون المرجع الوحيد في تفسير تركيب الذرة وفعلها. ان السير جيمز جينز كتب كتابه « الكون الغامض » لفئتين من الناس، أولاً : للذين يدرسون الفلسفة ويريدون أن يطلعوا على العلوم الطبيعية الحديثة اطلاعاً مجملاً، وثانياً المثقف الذي

يود أن يعرف عن أسرار العلوم الطبيعية الحديثة معرفة مجملة وبصورة مختصرة .

ولهذا فكتاب « الكون الغامض » قد غمض منه بعض الشيء على الاستاذ بدليل انه لم يفسر الجملة التي أوردها حيث قال منسوباً الى جينز .

« يمكننا أن نتصور بوضوح الجسمين الكهربيين ( البروتون والالكترون ) مندفعين معاً بفعل تجاذبهما المتبادل بسرعة فائقة الى أن يتحدا أخيراً فتتنافى تعبئتاهما الكهربائية فتنطلق قوتهما المركبة منهما بومضة إشعاع — هي الفوتون » .

أولاً — ان العلامة جينز لم يقل ، في آخر الجملة ، فتنطلق قوتهما المركبة منهما بومضة اشعاع — لأن هذا القول ليس علمياً فكيف تكون القوة مركب المادة ؟ ولكن جينز قال « فتنطلق طاقتهما المشتركة كومضة اشعاع » .

ثانياً — لم يفسر الأستاذ ذلك التجاذب والتفاعل الذي أحدث ذلك الإشعاع . نحن نعلم أن المادة مركبة من ذرات وهذه الذرات أيضاً مركبة من الكترونات وبروتونات وبوزترونات ، فلماذا لا نرى اشعاعاً في أكثر المادة ؟ إن جينز لم يفسر هذا القول معتمداً على الاختصار وعلى الفئة التي كتب لها . فالاشعاع الذي يحدث هو عن طريق تجربة خاصة وهي ، إذا أطلقنا قذائف من البروتونات أو الالكترونات بسرعة فائقة bombard على بروتونات أو الكترونات أخرى تتصادم تلك الكتل الصغيرة فتحول الى طاقة ، ونحن نعلم إن الطاقة تعتبر حرارة أو قل إن الحرارة شكل من أشكال الطاقة [1] ، فلا يصح أن نقول — كما قال الأستاذ — الفوتونات مادة تصحبها قوة بشكل حرارة ونور ، لأن المادة شكل والقوة شكل آخر ، كما ان القوة نوع والحرارة نوع آخر .

ثم يقول الأستاذ معتمداً على « الكون الغامض » : « ان الطاقة هي في الفوتون أو هي مصاحبة له أو هو يحملها » هذا هو قول غير صحيح وحاشى أن ينسب الى علامة مثل جينز .

إن كل عالم أو كل من يدرس العلوم الطبيعية يجب أن يعرف هذه الحقيقة وهي أن الفوتونات مقادير ضوئية . وقد عبر پلانك عن هذه المقادير الضوئية بهذه الصورة hv v ( ني ) عدد الاهتزازات في الموجة الضوئية و h هو ثابت بلا شك . وحسب نظرية پلانك فالطاقة

(١) قانون الثيرموديناميك الاول .

التي يرمز لها بحرف تساوي E تساوي hv = E أي ان الفوتونات هي « طاقة» فلا حاجة لمثل هذا اللف والدوران وهذه التفاسير والفلسفات .

ثم أورد الأستاذ تجربة كوكرفت وولتن في تغيير ذرة الليثيوم مع ذرة هيدروجين أي ذرتي هيليوم ، فقال الأستاذ ان هنالك نقص قد حصل « فأين ذهب » ؟

ثم يقول « فترى انه في تحول الليثيوم والهيدروجين الى هيليوم ضاع في المادة ما قدره ٠٫٠١٨٣ ، فأين ذهبت هذه المادة ؟ لم تضع بل ذهبت قوة أو طاقة تصحبها فوتونات ».

ثم يقول الأستاذ « فبناءً على هذه الظاهرة التي استغربها العلماء فان انشتين ، ووافقه بعض زملائه ، قال إن المـادة قوة والقوة مادة وكلاهما شيء واحد » ثم يقول « وانشتين يضلل طلاَّب العلم البسطاء أمثالي » — أي الأستاذ — ثم يدحض قول انشتين.

شيء مضحك أن ينسب الأستاذ حداد الى انشتين قولاً لم يقله ولن يقوله لأن انشتين أكبر علماء العصر الحديث،فلو صحَّ هذا القول الذي نسبه اليه الأستاذ لأصبح انشتين أكبر مجانين العصر الحديث .

لست أدري من أين أتى بهذا القول وفي أي مكان أو زمان قاله انشتين « ان المادة قوة والقوة مادة وكلاهما شيء واحد » .

لنقف قليلاً ولنعد الى النقصان في التجربة المذكورة ، ونرى كيف يعلله الأستاذ حداد فهو يقول ذهبت قوة أو طاقة تصحبها فوتونات .

ولـكن الأستاذ لم يعلمنا كيف حصلت هذه القوة أو الطاقة التي يذكرها . هل كان التحويل عن طريق الخلط أم الـكبس أم الذوبان أم عن طريق التحريك حتى نعلل ذلك النقص فنحكم له أم لانشتين . ولـكن الأستاذ حكم لنفسه .

انني لست متحكماً ولـكن أريد الحقيقة . يظهر أن الأستاذ نقل هذه الحقيقة نقلاً دون أن يفطن الى التجربة وهي انه اذا أطلقنا ذرة الهيدروجين كقذيفة على ذرة الليثيوم بسرعة هائلة نتج عن ذلك عنصر له ميزة الهيليوم الـكيماوية وله نفس الوزن والعدد الذري. وأما النقص فليس كما ينسبه الى انشتين من ان القوة مادة والمادة قوة . نحن نعلم ان القوة هي Force والمادة Matter فـكيف يقول انشتين قولاً كهذا ؟. فانشتين قال ان الـكتلة اذا

ضربت بثابت تصبح طاقة . هذا قوله الصحيح فمعادلته هي $E = mc^2$ و E هي الطاقة و m هي الكتلة $C^2$ هو الثابت وهو مربع سرعة الضوء .

وقد جاء انشتين بهذه المعادلة سنة ١٩١٥ بينما تجربة كوكرفت وولتن كانت سنة ١٩٣٢ فلم يعلل اينشتين ذلك النقص ، وأنما قانونه في الطاقة قد ضم ما جاءت به تلك التجربة . فالنقص إذاً قد أصبح طاقة أو حرارة وليس قوة أو طاقة مصحوبة بفوتونات كأن القوة شكل من أشكال الطاقة وبالعكس ، أو كأن الطاقة تصحب الفوتونات وليست هي بعينها .

ان الكميات الفيزيقية هي كتركيب الدواء للمريض ، فيجب أن يكون الانسان دقيقاً في استعمالها الى درجة قوية ، يعرف تماماً ما يقول وأين يضع كل منهما . فاذا قال أحدٌ ٢ + ٢ = ٤ أو ٥ فهذا يدل على أن المعرفة لم تكن واضحة في دماغه والأفكار ليست بيّنة .

لقد أنعم الله علينا بالعقل ، و أفضل ما عمله العقل لبني الانسان هو اختراع العلوم الرياضية التي بها يصح أن نقول ان الانسان قد شابه الخالق وبها قد فهم شيئاً من أسرار خلقه.

فحسب نظرية پلانك الطاقة أو الفوتونات أو المقادير الضوئية هي $E = hv$ لا الالكترونات إذا تصادمت فكانت سرعتها فائقة تحولت الى فوتونات وهذا دليله . لنفرض أن زخم الفوتون $\frac{hv}{c}$ ولنفرض ان له كتلة هي m صفر وكتلة الالكترون m

حسب انشتين وپلانك فالطاقة = $E = hv = mc^2 \ldots$ (١)

$$m = \frac{E}{c^2} \ldots (٢)$$

$$c^2 = \frac{E}{m} = \frac{hv}{m}$$

وعند التصادم تكون المعادلة هكذا $m = \frac{hv}{c^2}$ صفر

نضع بدل ال $c^2$ $\frac{hv}{m}$ نحصل

$$m = \frac{hv}{\frac{hv}{m}} = m$$ صفر (١)

(١) تذهب hv البسط مع hv المقام وتبقى m

اذاً تكون كتلة الالكترون بعد الالتحام مساوية لكتلة الفوتون المفروضة .

***

بقيت كلمة أخرى وهي تساؤله عن القوة فيقول «ما هي القوة أو الطاقة ؟ » كل ما نفهمه منهما انما أثرها وهي الحركة . . ! أين هي ( أي القوة ) لا ترى »

أولاً — كما نوهت سابقاً يجب أن يفرق بين القوة والطاقة ككميات فيزيقية فالطاقة شيء والقوة شيء .

ثانياً : فلو كنا في عصر أرسطو لما فهمنا من القوة أكثر مما تحدث عنها الأستاذ أي إنها شيء نحس فعله دون أن نراه . وأما اليوم فإننا نشعر بالقوة الفيزيقية لا بل نلمسها وذلك بنعمة الرياضيات التي بها أصبح العلم الطبيعي قادراً على أن يحل قوانينه . فنحن بهذه الواسطة نقدر أن نلمس أو نحس القوة . وهي الكتلة مضروبة بالابغاز أو الاستعجال Acceleration [1] أي $F = ma$ أو بشكل حساب التفاضل هي

$$F = m \frac{dv}{dt} = E \quad m \quad \frac{d^2 3}{dt^2}$$

وأخيراً يظهر أن الأستاذ يعتمد على المطالعة في كتابة مقالات عن العلوم الطبيعية وليست تخصيصه الجامعي

القدس فؤاد جميعان

.................................

(١) تعمدت وضع الكميات بالرموز اللاتينية واليونانية لاني أدعو إلى كتابة الرموز العلمية على هذا الشكل . واذ لم يكن لديكم حرف ( ني ) أرجو تبديله بحرف n

وقد ترجم الدكتور مشرفه هذه الكلمة بـ « سرعة » كما أوردها في كتبه ونحن نعلم أن كلمة سرعة هي Acceleration Velocity هي استعجال أو ايضاح أو سرعة — الزمن

# ٢ - الضويئات

قرأت في مقتطف يونيو الماضي مقال الأستاذ نقولا الحداد رداً على ملاحظاتي — الرقمية والتاريخية — السابقة فأشكر له صراحته واعترافاته ولا عجب فهذا خلق العلماء.

لقد قال الأستاذ بادىء ذي بدء بأن ملاحظاتي كانت رقمية وتاريخية ولو أنصف لم يقل ذلك إذ أنني لم أتعرّض في مقالي السابق للتعليق على تاريخ أو رقم اللهمّ إلاّ عمر الاورانيوم، وأظن أن الأستاذ يوافقني بأنه لا يوجد بأي شكل من الاشكال صورة نستطيع بها أن نعين عمر الأورانيوم إلاّ بالأرقام. أما إذا اعتبر حضرته ملاحظاتي كقولي « ان طومسون لا راذرفورد هو مكتشف الكهيرب » وقولي أيضاً « ان راذرفورد لا بوهر هو الذي أثبت أن كتلة الذرة موجودة في مركزها » وقولي « ان دقيقة ألفا تتركب من نيوترونات وكهارب وليس من كهارب فقط » قلت اذا اعتبر الاستاذ هذه الحقائق العلمية نوعاً من التاريخ والترقيم، فهذا بحث آخر.

ليتأكد الأستاذ قبل كل شيء انه عند ما فكرت في كتابة ملاحظاتي الأولى لم يجل بخلدي على الاطلاق أن أتهجم أو انتقص من مكانة أستاذ جليل، ولكن الواعز الوحيد الذي دفعني اليها هو حب التعاون الصادق على تمحيص الحقائق في حدود الكياسة والنزاهة، والتنويه بأن القضايا العلمية وخاصة الحقائق الطبيعية والكيمائية لا تقبل التسرع ولا تحتمل السهو. وليس من المعقول أن يكون السبب في تعليقي على مسائل أولية بسيطة هو جهل أستاذنا بها، ولكنه لتصوير بشاعة السهو العلمي وخاصة من كبير كحداد نعده في الرعيل الأول من ثقاتنا ومراجعنا العلمية، وتعوّدنا أن نحسب أقواله في مثل هاتيك البحوث حجة لا تنقصها الدقة والتثبت ولا يعتورها السهو والتسرع.

قال الأستاذ انني ذكرت الجملة « ان بوهر برهن على ان الكهارب تتوسط الذرة كنواة في مركزها » وانني قد غضضت النظر عن بقيتها التي فيها ما أراد أن ينسبه الى بوهر، وهي « ان بعض الكهيربات تقيم معها أي مع الكهارب في النواة والبعض الآخر تدور من حول

النواة على بعدٍ منها في أفلاك كما تدور السيارات حول الشمس » . ان هـذا واقع وهو ما أردته بالذات . فقد قرر الاستاذ حقيقتين مستقلتين عن بعضهما تمام الاستقلال : الأولى أن بوهر برهن على أن الكهاب تتوسط الذرة كنواة في مركزها » والثانية انه — بوهر — برهن على أن للذرة نظاماً فلكيـًا » . أما الحقيقة الأولى فلم تكن صحيحة وقد علقت عليها في مقالي السابق . وأما الثانية فلم أتعرَّض لها لتسليمي بهـا ، لأن بوهر برهن حقـًّا حينما طبق نواميس كپلر الفلكية ونواميس الكونتم على الذرة ، على أن لهـا — للذرة — نظاماً فلكيـًّا . ولا أدري كيف يريد الاستاذ أن يفرض عليَّ ويلزمني بأن أغالط وأنقد حقيقة أعترف بصحتها ليستقيم المعنى الذي أراده في الحقيقة الاولى مع ان كل منهما تعبر عن وجهة نظر خاصة ومعنى خاص . وعلى كل حال فالنظام الفلكي الذي قرره بوهر للذرة بنظريته ومعادلاته الميكانيكية، قد طرأ عليه كثير من التبديل والتغيير بل يعتبره لفيف من كبار العلماء على رأسهم هيزنبرج وبورن بأنه لم يعد يفي بالغرض المطلوب من وضعه ، لأنهم لاحظوا ان فيه — النظام — ثغرة واسعة لا يمكن سدُّها بحـال مما اضطرهم الى ابدال الميكانيكيات البوهرية بأخرى جـديدة دعوها الميكانيكيات المتركسية Matrix Mechanics وربما وافينا القراء إذا سمحت الظروف ببحث خاص مفصل عن قصة الميكانيكيات الذرية .

لقد بان لي أن حضرة الاستاذ وافق على تعليقاتي إلاّ واحدة منها مهمة — المادة والأشعة الكهرطيسية في أشعة الراديوم — والأخيرة « الأشعة الكهرطيسية أو المـادة المتموجة » يتفرَّع عنها بحوث واسعة دقيقة لم يستطع العلم إلى الآن البت في كثير منهـا والقطع بصحة خواصها وهي كما أسلفت في مقالي السابق أبحاث بكر تتضارب فيها الأقوال ولم يستقر رأي العلماء فيها على قرار حاسم ، وآراؤهم في ذلك مبتسرة أقرب الى النقاش الفلسفي العلمي منه الى البحث العلمي الصرف الذي يعتمد عادة على الأساليب التجريبية . ولـكي نتفهم جيداً نقطة الاختلاف بيننا نعود بالقارىء الى قول الأستاذ بهذا الشأن في مقاله الاسبق وما يلي نصه :

« لا يخفى ان الأورانيوم هو رأس العناصر ذات الاشعاع Radiation ويليه الثوريوم فالا كتينيوم فالراديوم . والأورانيوم يتحوَّل إلى ذلك فذلك فهذا على التوالي وأخيراً يتحوَّل إلى رصاص . وعملية التحول هذه تحدث بأن يتناثر كل عنصر من هذه العناصر من

تلقاء نفسه تدريجيًا كهارب وكهيربات على التوالي حتى تصبح ذرة العنصر الأعلى ذرة العنصر الذي تحته أي ان كل عنصر يذوب رويداً على هذا النحو . والكهارب والكهيربات تتناثر وتنطلق فوتونات أي ضويئات حاملة حرارة ونوراً كما هو مشاهد في الراديوم » اه .

إن الأستاذ يعترف هنا بأن الأشعة المنطلقة من الراديوم هي ضويئات . وقد فندت له في مقالي السابق أنواع هذه الأشعة وقلت بأن النوع الأول وهو جسيمات ألفا — نوى الهليوم — لا يمكن أن نسميها بحال ضويئات ، وتساءلت حينئذٍ مستغرباً كيف يجوز لنا أن نقول عن أجسام مادية لها وزنها الخاص كالهيليوم إنها ضويئات . فكان جواب الأستاذ على ذلك « من قال انه يجوز ؟ حقًا ليست ضويئات وما هي إلّا نوى عنصر الهيليوم » فكأنه بذلك أنكر قوله السابق وراح يتنصل منه . اعترف أولاً بأن أشعة الراديوم هي ضويئات ثم سحب اعترافه عند ما رددت عليه وقلت بأن أشعة ألفا لا يمكن أن تكون ضويئات . ثم فندت له أيضاً النوعين الآخرين من تلك الأشعة وقلت إن النوع الثاني أشعة بيتا — الكترونات — هي أيضاً دقائق مادية وليست ضويئات وتصبح ضويئات عند ما تفنى شحنتها الكهربائية . وما دامت لها شحنتها السالبة فانها ليست بضويئات. وأما أشعة غما النوع الثالث فهي ليست دقائق مادية ، وإنما هي أشعة كهرطيسية من قبيل أشعة اكس وهذه هي الضويئات فقط . فهل تدري ماذا كان رد الأستاذ على ذلك أيضاً ؟ قال ما نصه :

« والغريب أن حضرة الأستاذ يوافق على قولي أن النور الذي نشاهده في الراديوم ليس إلاَّ فوتونات » شيء عجيب حقًا ! إنني لا أدري من أين جاء الأستاذ بهذا النص الذي زعم بأنني قلته وأنا في الواقع لم أقله بل بالعكس كان همي دحضه كما هو واضح من مقالي السابق. ومن يدري ؟ فلعلَّ شيطان السهو عمل بيده تشويهاً وقلباً لتلك الحقائق . ومهما يكن من شيء فإنني لا أستطيع من باب الكياسة واللياقة ان أعيد للأستاذ تلك الكلمة النابية « يخلط » التي تجنى عليَّ بها دون ما حق أو مبرر لأنني لم أتصدَّ كما صرَّح حتى ولا بطريق التلميح إلى المقارنة بين الأشعة Rays والاشعاع Radiation

والغريب أيضاً انه في نفس الصفحة بل في نفس القطعة يعود الأستاذ فيناقض قوله هذا ويوافقني على رأيي في أشعة الراديوم ولكن دون اعتراف صريح منه فيقول ما نصه

« فالنور والحرارة اللذان يلحظان في تشعع الراديوم هما أشعة غمَّا فقط ( فوتونات ) وأما أشعة ألفا وبيتا فليست أشعة نور وحرارة البتة الاَّ اذا التحم الفريقان فيما هما صادران من كتلة الراديوم وتنافت كهربيتهما وتحولا الى فوتونات » . ومن يرجع لملاحظاتي في المقال السابق يدرك بأني استبعدت وأنكرت بأن تكون أشعة ألفا وبيتا ضوئيات ، بل حصرتها في أشعة غمَّا فقط وهو عين ما أتى به الأستاذ في سبيل الرد عليَّ . وبما أنه وافق على قولي بطريق غير مباشر ولا يعنيني أن تكون الموافقة صراحة أو ضمناً ما دام هدفنا هو تمحيص الحقائق — أقول ما دام الأستاذ وافق على أن أشعة ألفا وبيتا ليست ضوئيات فتصبح نقطة الاختلاف بيننا محصورة في تعريف أشعة اكس أو غمَّا أو كل أشعة كهرطيسية في الكون . وعلى هذا الاختلاف دار معظم مقال الأستاذ كما هو ملاحظ فيه .

قلت إن معظم رد الأستاذ كان يدور على نقطة واحدة وهي قولي « إن أشعة غمَّا ليست كأختيها دقائق مادية ، وانما هي أمواج كهرطيسية من قبيل أشعة أكس وهذه هي الضوئيات » وهنا أرانا الأستاذ عرضاً سريعاً رائعاً للمادة وخواصها والأشعة وطواقها والطاقة وأصلها وتحولاتها من صورة الى صورة . وقد استهجن قولي أن أشعة غمَّا ليست دقائق مادية ، حقًّا إن أشعة غمَّا وكل أشعة ( نورانية ) سواء أكانت مرئية أم غير مرئية هي مادة ولكن الذي قصدت أن أقوله هو أن أشعة غمَّا ليست دقائق مادية بالنسبة الى المادة التي يفعل فيها المغنطيس فعله وبالتبعية بالنسبة الى الضربين الآخرين من أشعة الراديوم الفا وبيتا . فهذان النوعان من الأشعة مادة ، وأشعة غمَّا مادة أيضاً ، ولكي أقرِّب الى الأذهان الفرق والتمييز بين صنفي المادة سقت الفرق الذي تقره الطبيعة الكلاسيكية — ولا يقره العلم الحديث — أي أن المادة في نظر الطبيعة الكلاسيكية هي التي تتأثر بفعل الجذب المغنطيسي والأشعة هي التي لا تتأثر به ، انني لا أدين بهذه الحقيقة لان الضُّوَيئة — أشعة غمَّا — هي مادة أيضاً خالية من الشحنة الكهربية ولكنني قلت ما قلت للسبب الآنف الذكر فقط . نعم أن أشعة غمَّا — الضوئيات — أو الطاقة المتموِّجة ، هي مادة بلا شك وأول من طبق نظرية الكونتم على الضوء هو الأستاذ العلاَّمة اينشتين Einstein سنة ١٩٠٥ ، وعلى ضوء الأبحاث التجريبية التي قام بها الأستاذ لينارد وغيره من العلماء في طبيعة الطاقة المشعة Radiant enegy والظاهرة المعروفة « بالفعل الكهرنوري Photo-electric effect أتحفنا اينشتين بنظريته المسماة نظرية الضوء الكونتمية light quantum hypothesis التي تقول بأن الضوء دقائق مادية واحدتها الضوئية Photon أيدها الأستاذان مير F. Meyer وجيرلك W. Gerlach بالتجربة والبرهان العملي بعد عقد من السنين تقريباً سنة ١٩١٤ . فعلى نواميس پلانك

الكونتمية وتجارب ليناردبنى اينشتين نظريته في الضوء فقال ان الفوتون — الضويئة — هو دقيقة وفوق ذلك وحدة الأشعة، فوافق بذلك پلانك القائل بأن الطاقة المشعة التي تطلقها المادة أو تمتصها ليست شيئاً متصلاً كما قررت ذلك الطبيعة الكلاسيكية ، ولكنها منفصلة وقوامها وحدات من الدقائق المادية . ومنذ ذلك الحين صارت الغلبة لرأي نيوتن على هوجنس أي أن الضوء ذرات أو دقائق وليس بأمواج. فاطمأن العلماء الى انهم قطعوا بصحة إحدى النظريات العلمية العويصة ، ولكن هذا الاطمئنان ما لبث أن تبدّد فقد لاحظ العلماء أن ظاهرة التداخل النوري لا يمكن تعليلها بحسب نظرية الكونتم ، بل بحسب النظرية التموجية فدبت الفوضى في آراء العلماء فاكتنفتهم الحيرة المقلقة . وفي غمرة هـذه الفوضى طلع الاستاذ دي برولي De Broglie بعد أن أنار له السبيل كل من دافسون Davisson وجرمر Germer سنة ١٩٢٧ باكتشافهم الفذّ بأن دقائق المادة تتصرّف كأمواج ، أقول طلع دي برولي على العلماء بنظريته الميكانيكيات الموجية Wave Mechanics التي تنص على ان دقائق الضوء — الضويئات المنطلقة في الفضاء — تصحبها سلسلة من الامواج . وبذلك وفق بل دمج نظريتي نيوتن وهوجنس في نظرية واحدة ما زالت المقبولة عند العلماء .

والآن وقد عرفنا بأن الضويئة دقيقة مادية يتبادر الى أذهاننا سؤال خطير وهو « ما هو المصير المحتوم للضويئة في الفضاء اللامتناهي ؟ وهل يحتفظ دائماً أبداً بماديته ؟ .

ان العلم لا يزال حائراً وعاجزاً عن الاجابة الحاسمة والبت في هذا السؤال الخطير ، لأن مقتضياته بعيدة عن متناولهم ومختبراتهم وللعلماء في تعليل ذلك مذهبان ، فالجماعة الاولى ترى أن تلك الدقيقة المادية — الضويئة — هي المادة نفسها أي أن المادة والطاقة شيء واحد ويقولون أيضاً بأنه سيأتي يوم مهما طال وبعد تعود فيه الشحنة الكهربية للضويئة فيصبح مادة مشحونة وتذهب الجماعة الثانية الى أنه يوجد فرق بين المادة والضويئة ، أي أن المادة شيء والطاقة شيء آخر أو بعبارة أخرى أن الضويئة سوف تبقى مادة خالدة سرمدية ولكن لا شحنة لها وبعض نفر من هذا الفريق يزيد فيقول بأن المصير المحتوم للضويئة هو الفناء — العدم — مهما طال الزمان لأن تلك الضويئات تتسع دوائر أمواج طاقتها المصاحبة لها وتطول على مرور الأزمان ، وكلما طالت لطفت ورقت الى أن تتلاشى أخيراً وتنعدم .

فما تقدم يتضح لنا بأن العلم لم يجزم الى الآن في طبيعة الضويء ومصيره وعنـد ما قلت في مقالي السابق بأن هذه النظرية لا تزال لغزاً من ألغاز العلوم وانه لا يمكن الاعتماد عليها كبرهان على صحة ما يقال لأن ذلك — على الأقل الآن — سابق لأوانه ، كنت على حق .

السلط جريس الشرايحه

# النسيم

ليت للدهر بعض لينك أنتا … فبما رحمة من الله لنتا

قد ترنحت رافلاً في أريج … من زهور صانت هواك وصنتا

وسكنّا إليك لما تحركـ … ـت عليلاً ، فهل إلينا سكنتا ؟

يقبح الشيء حين يعتلّ ، لكنـ … ـك لما أن اعتللت حسنتا

يارسول الزهور ، ألطف من بلّـ … ـغ عنها رسالة الطيب ، أنتا

أنت في وحدة ، ونحن مع النا … س ، ولكن خفنا السرى وأمنتا

تمتطي صهوة الدجنة في التبـ … ـليغ عنها ، ولو وهنت لهنتا

يا أميناً على الهوى ، أغصن البا … ن أبانت من الهوى ، وأبنتا

عانق الغصن في يديك أخاه … واستعانا على الهوى فأعنتا

أعناقٌ بدون إذنك ؟ كلاّ … بل هما استأذنا ، وأنت أذنتا

يا غريباً لجّت به لجة الغر … بة ، قل لي أكرمتها أم أهنتا ؟

يا حليف السرى أتبغي مقرّاً … أم مفرّاً منّا الى حيث كنتا ؟

شاعر البراري

# نظرية النمو الذاتي

## ونهضة إحياء العلوم في غربي أوربا

قبل أن يظهر غلاة العنصر النوردي ظهرت طائفة من المؤرخين تمجد القبائل التيوتونية التي طغت على الدولة الرومانية الغربية وأسست دول غرب أوربا الحديثة . وهـذه الطائفة تؤكد نمو العقل في غربي أوربا نمواً متصلاً متدرجاً قبل نهضة إحياء العلوم، وتعلله بأنه كان نمواً ذاتيـاً وتـشـيدُ باستعداد هذه القبائل لتنمية الحضارة والثقافة . وقد يفهم القارىء من مؤلفاتها ان تلك النهضة لم تكن ثورة فكرية على الماضي ما دامت لهـا سوابق وحلقات متصلة أو منفصلة، وما دامت لها مراحل قبلها من نوعها، كما قد يفهم ان ذلك النمو الذاتي يقلل من أثر المؤثرات الخارجية . والحقيقة هي أن كل نهضة كبيرة في حياة الانسانية كانت نمواً ذاتيـاً متدرجاً . ولـكن عند حدّ معين تتعاظم المؤثرات وتتعجل نتائجها فتصير انقلاباً أو ثورة على الماضي كما إن النمو الذاتي لا ينفي عظم المؤثرات الخارجيـة ، فنمو الانسان الذاتي أو نمو الشجرة، لاينفي إفادتهما من غذاء وماء وضياء ، وكلها أمور خارجة عن كيانهما . وإذا تتبعنا الثقافات والحضارات قديمها وحديثها وما يعتورها من تغير وانقلاب وجدنا ان النمو الذاتي ملحوظ في القديم منها والحديث ، ولـكنه لاينفي أن تـكون مشتقة من ثقافات سابقة ولا ينفي أن تكون المؤثرات الخارجية السبب في كل مرحلة من مراحلها، كما كان الحال في نموّ الثقافة في غربي أوربا من عهد العصور المظلمة إلى عصر نهضة الإحياء ، فتأكيد فكرة النمو الذاتي في تعليل نهضة الإحيـاء في غربي أوربا بصفة خاصة فيـه شيء من المغالطة إذ مهما عظمت المؤثرات الخارجية ومهما عظم الإقتباس من الثقافات والحضارات الأخرى ، فلا بد لـكل ثقافة من نمو ذاتي، لأن القائمين بالحضارة والثقافة مخلوقات حيّـة نامية،وتورث نموها الثقافي . وهذا النمو الذاتي شأن الحضارات والثقافات ،حتى المصطنعة المتكلفة القليلة الحيوية

فكيف لا يكون هذا أن الثقافات الكبيرة في الأمم العظيمة الاستعداد للنمو الثقافي . ولكنه مع ذلك لا يمنع من الاعتراف بأن كل ثقافة مستمدة من ثقافة سابقة ، ومهما كان استعداد قبائل التيوتون التي أسست دول غربي أوربا لتنمية الثقافة، فانه من المغالاة في التعصب للعنصر والجنس تهوين المؤثرات الخارجية، وكأن غلاة العنصرية يريدون أن تشذ حضارة غربي أوربا عن القاعدة العامة . ولا شك أن النمو الذاتي في ثقافة غربي أوربا مدين للحضارة والثقافة الرومانية والاغريقية والعربية ، وكل ثقافة من هذه الثقافات مدينة لحضارات أمم كثيرة سبقتها ، فكان الاغريق أساتذة الرومان من عهد اتصال الرومان بهم في مستعمرات الاغريق في جنوبي ايطاليا الذي كان يسمى بلاد الاغريق العظمى ( ماجناجريشيا ) الى أن غزا الرومان بلاد الاغريق في البلقان والشرق . ومن أجل ذلك صارت الثقافة التي نشرها الرومان في غربي أوروبا تسمى الثقافة الاغريقية الرومانية ( جريكو رومان ) وقد قضت قبائل التيوتون في العصور المظلمة على الكثير من معالم هذه الثقافة. ولكن بقيت بقية ظلت تنمو الى عهد النهضة . فالاستعداد التيوتوني للثقافة لم يكن يعمل في فراغ من الثقافة والحضارة . وعندما أسقطوا الدولة الرومانية الغربية ظلت الكنيسة المسيحية قائمة تنشر دعوتها بينهم وكانت ثقافة علمائها اغريقية رومانية، فقد نشأت المسيحية أولاً بين اليهود في عصر سادت فيه الثقافة الاغريقية في الشرق . وكان علماء اللاهوت يعتمدون على الفلسفة الاغريقية في محاولة تقريب العقائد المسيحية الى الأذهان ولو أنهم كانوا يفسرون آراء فلاسفة الاغريق تفسيراً يطابق عقائدهم . وقد استحوذ علماء المسيحية على ارسطوطاليس ففسروا آراءه فيما وراء الطبيعة تفسيراً يناسبهم واتخذوا من منطقه أداةً للمحاجة الدينية ، ولكن ذلك المنطق كان رياضة كبيرة للعقل، بالرغم من محاولتهم قصره على ما يوافق عقائدهم .

***

وبالرغم من أن ارسطوطاليس كان اغريقيًّا من العهود السابقة للمسيحية، فقد كاد يُعَدّ الخروج على قوله حسب تفسيرهم حدثاً عظيماً، وقد خرج عليه أمثال روجر باكون الانجليزي

ولكنه خرج على ارسطوطاليس الباحث عما وراء الطبيعة لا على ارسطوطاليس الباحث عن خصائص الأشياء والأحياء ، وكانت لغة التعاليم اللاتينية . ولكن مادتها مشتقة من الثقافة الاغريقية ، وولوع روجر باكون بالبحث العملي مشتق أيضاً من ثقافة الاغريق وتلاميذهم من العرب . كل هذا يدل أيضاً على ان استعداد التيوتون الثقافي في غربي أوروبا لم يكن يعمل في فراغ ثقافي ، وكانت أمم غرب أوروبا بين حضارتين : الحضارة البيزنطية الوارثة لثقافة الاغريق وكتبهم ، والحضارة العربية الوارثة لثقافة الاغريق والفرس والهند . فكان غربي أوروبا تحتضنه حضارتان علاوة على مخلفات الرومان . وينسى الذين يحاولون تهوين المؤثرات الخارجية أثر هذا الاحتضان والاكتناف في جميع الثقافات من أقدم العصور كما يتناسون الأدلة اللغوية من أسماء تدل على اقتباس أهل غربي أوروبا الصناعات والفنون والعلوم ، ويتجاهلون الكتب التي كانت تدرس في جامعات غربي أوروبا في القرون الوسطى وأسماء مؤلفيها من الاغريق والعرب .

* * *

ومن الغريب انهم يفعلون ذلك بحجة الدقة في البحث العلمي والتمحيص ، ولكن ليس من الغريب ذلك التناسي الذي يستوي فيه العالم والجاهل ، فانه من الحقائق المقررة في علم النفس ان النفس تنسى ما تود نسيانه ولو كان معروفاً ، وهذا أمر مشاهد في أمور الحياة اليومية . وقد انقاد لهذا المذهب بعض كبار الأساتذة الذين يخشون أن يتهموا بقلة نصيبهم من الدقة في البحث وهم على نصيب وافر منه ، وهذا أيضاً أمر مشاهد في أمور الحياة اليومية . وقد انقاد لهذا المذهب بعض كبار الأساتذة الذين يخشون أن يتهموا بقلة نصيبهم من الدقة في البحث وهم على نصيب وافر منه ، وهذا أيضاً أمر مشاهد في الحياة . وليس بين المؤرخين من ينكر فضل جامعات القرون الوسطى أو المراحل التي سبقتها في تنمية ثقافة غربي أوربا ، ولكن الذي ينكر حقاً تفسير نظرية النمو الذاتي تفسيراً يخالف الحقائق بتجاهل الحقائق وتناسيها بتهوين أثر المؤثرات الخارجية في نمو الاستعداد الثقافي في غربي أوربا . وقد ظل القليل من علماء غربي أوربا علاوة على ذلك يلم بعض الالمام باللغة الاغريقية أو الكتب القليلة

المنقولة عنها مباشرة قبل النقل عن العرب . وكان تجار مدن ايطاليا على اتصال بالثقافة الاغريقية القديمة في بيزنطية . وأغارت البندقية بجيش من الصليبيين على الدولة البيزنطية وأسست بها دويلات ما لبثت أن زالت . وقد بدأ انتقال أدباء بيزنطية بكتبهم الى ايطاليا قبل استيلاء الاتراك العثمانيين على القسطنطينية . فالاتصال بين غربي اوربا وبين كتب الاغريق القدماء لم ينقطع انقطاعاً تامًّا لا في وقت السلم ولا في وقت الحرب. ومن المعروف أن بعض مشاهير غربي أوربا تعلموا في مدارس العرب ، وعند ما استولى الفونس السادس ملك قشطالة على طليطلة وجد ثقافة عربية متصلة بالثقافة الاغريقية القديمة وكان يغتبط ويسر بأن يسمى حامي الثقافة وراعيها ، وذلك قبل عهد اضطهاد الاسبان للعرب . وقد ترجم ريموند رئيس أساقفة معهد الترجمة كتب الثقافة العربية وساهم اليهود في هذه الترجمة كما أن بعضهم انتقل إلى جنوبي فرنسا ونشر فيها الثقافة العربية . وعند ما ورث الامبراطور فردريك الثاني مملكة النورمان في جنوبي ايطاليا وصقلية أسس جامعة في نابلي واعتمد في نشر الثقافة على عرب صقلية ويهودها ، وانتشرت الحركة الفكرية في بولونا وبادوا من جامعات ايطاليا وفي مونبلييه وباريس وجامعات انجلترة ، وكانت تدرس كتب ارسطوطاليس وبعض كتب افلاطون وأفلوطين وفرفوريوس الصوري وأبقراط وجالينوس وابن سينا والفارابي والرازي وابن رشد وابن باجة* وغيرهم. ومن الظلم تهوين أثر الكتب الاغريقية بأن يقال إن البحث عنها يدل على نضج الذهن قبل الاستعانة بها، فمراحل هذا النضج من أثرها. ومن الظلم تهوين أثر الثقافة العربية بأن يقال إن بعضهم أخطأ في فهم أو نقل بعض آراء الاغريق أو انهم اشتغلوا بمحاولة تحويل المعادن الى ذهب أو بالتنجيم فقد كشفوا في الفلك والكيمياء والطب وأدخلوا في الصناعات والزراعات أشياء كثيرة لا تزال أسماؤها العديدة في اللغات الأوربية مشتقة من العربية ، وغيرها وضعت لها أسماء جديدة . والخلاصة هي أن النمو الذاتي لا ينفي عظم المؤثرات الخارجية ، وإنه أمر ملحوظ في كل نهضة ثقافية لا في غربي أوربا وحده ، وان نهضة الإحياء بالرغم من مراحل نموها كانت ثورة فكرية شديدة ولدت الهلع والرعب لبعض عواقبها .

ع . ش

# فشل دعاة الانقلاب

يخطىء المصلحون الثائرون على النظم الاجتماعية أو الاقتصادية ، عندما يحملون معاولهم لهدم الأسس التي ينهض عليها النظام الاجتماعي القائم الذي اشتركت في اقامته ديانات ووراثات وعقول وأجيال ومدنيات مختلفة ومتباعدة ، حتى استقرت الأوضاع على القيم الموجودة الآن .

قد يكون بعض هذه القيم أو الأسس نتيجة أخطاء أو تكون هي في ذاتها قيماً معوجة. ولكن الحياة قد تفاعلت معها فألفتها وسارت وما زالت تسير عليها . فالحرب والشر والأنانية والأثرة وما إليها من الأسس التي لا يختلف إنسان في ضررها ، كل هذه شرور لا شك فيها ، ولكنها مع ذلك من أسس الحياة التي لا يمكن محوها من التكوين الاجتماعي مهما حاول البشر أن يتخلصوا منها ، بل ان العالم كلما حاول أن يتخلص أو يعمل على الفرار منها دفعته أنانيته وطبيعة تكوينه إلى الاقتراب منها والانغماس فيها .

فالمجتمع في وضعه الحالي، رغم ما فيه من أسس ونظم لا تطاق ؛ ورغم ما فيه من شرور واعوجاج ، ليس إلاّ آلة فيها من العيوب الشيء الكثير . ولكنها مع ذلك آلة تدور وتؤدي عملها . بل قد تكون هذه العيوب التي نراها من الأسباب الجوهرية لإدارة هذه الآلة .

فعلى الثائرين على نظامنا الاجتماعي أن يفكروا قبل أن يُفَصّلوا آلة الحياة ، وقبل أن يفككوا أجزاءها ، عليهم أن يفكروا جيداً وأن يتريثوا فيما هم مقبلون عليه من هدم لا بناء بعده ، عليهم أن يفكروا هل يستطيعون أن يعيدوا أجزاء هذه الآلة سيرتها الأولى ؟

من السهل أن يمسك الطفل آلة أو ساعة فيحل أعضاءها وتروسَها . ولكن من العسير أن يعيدها ثانية إلى ما كانت عليه . فعلى المفكرين الثائرين وعلى قادة الرأي الثائرين الذين

حسبوا القدرةَ في أيديهم على إصلاح العالم بتغيير نظمه بما في رؤوسهم من أفكار هادمة ، عليهم أن يفكروا أولاً هل في استطاعتهم بناء عالم جديد ؟

نعم ان كل مفكر إنقلابي يستطيع أن يبني عالماً جديداً ولكن على الورق أو في خياله الحائر الثائر. من السهل أن تكون مصلحاً خلاقاً تبعث النظرية تلو النظرية لخلق عالم جديد . ولكن من المحال أن تنفذ شيئاً من خيالك الخصب الحائر . ولقد أصيب هذا العصر الذي نعيش فيه بالحيرة والتردد نتيجة للدُّوار الذي أصاب الأمم بعد حربين فاتكتين وبعد انقلابات اقتصادية واجتماعية هزَّت أركان الوجود . فالأمم الآن مصابة بدوار كما يصاب المسافر في البحر بدوار يشعره بالدنوّ من الهلاك .

***

فمن الخطر أن تستمع الأمم وهي في هذه الحال من الدوار والقلق والحيرة إلى الآراء الانقلابية الشاذة . من الخطر أن تضع الأمم حظوظها ومستقبلها وأمانيها وقيم مدنيتها تحت سيطرة قادة لهم نزعات انقلابية هي نتيجة تفكير مريض أو وحي شاذ أو تشاؤم هادم ، فهؤلاء القادة قد أصابهم ما أصاب العالم من دوار وقلق وحيرة وتشاؤم ، ولهذا فليس من البصيرة في شيء أن يستقبل العالم آراءهم إلاّ كما يستقبل آراء المجنون أو المريض.

ان الحياة لاتخضع لعمل الانسان . لأن الانسان إنما هو ذرَّة في كيان الحياة نفسها . وإذا كانت الطبيعة البشرية في تغيير مستمر ، فليس هذا التغيير في طبيعة الحياة أو في قوانينها وإنما هو في مظاهرها فقط فلا يلبث هذا التغيير أن يتراجع حتى يعود من تلقاء ذاته من حيث بدأ — فالطفرات الانقلابية التي جاءت نتيجة المبادىء العنيفة أثر حرب أو حيرة اجتماعية طارئة ، لا تلبث أن تخبو وتزول . ولكن بعد أن تترك آثاراً رجعية في الحياة الاجتماعية كالعاهات المستديمة التي تنشأ في جسم من يصاب بها في عراك عنيف .

***

لقد نشأت بعد الحرب العالمية الأولى نزعات سياسية واقتصادية عنيفة . فكانت البلشفية ثم النازية واستقبلتها الأمم وهي في حالة دوار أصابها بعد حرب طاحنة . فلم يكن للتفكير الهادىء من سبيل إلى هذه الأمم ، فذهبت ضحيتها ، ما في ذلك من شك .

ولقد عشنا ورأينا انهيار النزعات النازية . لقد انهـارت لا لأنها نزعات ضعيفة في مادتها ، ولـكنها انهارت لأنها نشأت عنيفة هدَّامة لنظم الحياة المستقرة في طبيعة الـكائنات . انهارت لأنها قوية بمادتها ضعيفة بروحها . انهارت لأنها نتيجة تفكير أناني مريض . أليست النازية تنفيذ دعوة الفيلسوف فريدريخ نيتشه الذي بشر بفلسفة القوة والسيطرة ؟ أوليس هذا الفيلسوف رجلاً مريضاً لا ينكر أحد أنه عاش طول حياته متنقلاً في المصحات يقاسي الآلام ، حتى قرَّر الأطباء أنه مجنون لا يرجى له من شفاء .

***

ولهذا كانت جميع آراء هذا الفيلسوف لا تخلو من أثر المرض والاعوجاج والشعور بالضعف ، فكانت وحي ألم وحيرة وحرمان . ولهذا جاءت تدعو الى ما حُـرِم منه صاحبها من قوة وصحة وسيطرة . فنشأت النازية نشأة مريضة ، فدعت دعوة غير طبيعية الى السيطرة والعنف والأنانية . وجاءت والعالم في حالة دوار بعد الحرب العالمية الأولى . فلم يفكر الزعماء يومئذٍ تفكيراً هادئاً سليماً ، بل فكروا تفكيراً منقاداً لعوامل غير طبيعية ، فكانت كارثة إذ تقررت النازية نظاماً لأمة عتيدة من أمم الدنيا ، فسارت هذه الامة سيراً منحرفاً عن طبيعة الحياة حتى اصطدمت بحقائق الحياة الجبَّارة فانهارت انهياراً قاسياً عنيفاً .

وكذلك الحال في الفاشية ظهرت في الأمة الايطالية عقب انقلاب نفسي أصاب الشعب الايطالي من دوار الحرب الماضية . فكان نظاماً مغرراً لا يستقر على طبيعة الحياة في ايطاليا ، ولا يستقيم مع عقلية الشعب الايطالي ، بل أخذ هذا النظام ينفخ في الشعب الايطالي حتى أوجد منه جسماً مكبراً مملوءاً بالهواء لا يحتوي على شيء غير الوهم ودجل الزعماء . فذهبت ايطاليا ضحية قائد مجنون لم يعرف نفسية الشعب الذي يتولاه .

فمن الخطر على النظم الاجتماعية وعلى العدالة ذاتها أن تستقبل الأمم دعوة انقلابية جديدة وهي في حالة نفسية غير مستقرة . فالعالم الآن في حالة دوار نتيجة الحرب الأخيرة ، وفي حيرة وقلق وتردُّد وتشكُّك . فليس من العدالة للانسانية أن يبدأ دعاة الانقلاب ببذر مبادئهم تحت ستار النظريات الاقتصادية أو الاجتماعية الجديدة ، لأن العالم في هذه الفترة

التي نعيش فيها مصاب بدوار شديد ، وقلق مرير ، وحيرة مترددة ، فهو في حالة غير مستقرة لا يستطيع معها أن يتبصر الامور أو يمتحن منها خيرها أو شرها .

فهؤلاء الدعاة الذين يسمون أنفسهم بما شاءوا من ألقاب ، فيدعون لازالة شرور الحياة من حرب وفقر ، انما هم في الحق قوم يدجلون ويغالطون الأمم ويتربصون بها وهي في حالات نفسية قلقة . لأنهم لن يستطيعوا محو الفقر والحرب لأن الخير والشر عنصران متلازمان في الحياة لا يمكن محو واحد منهما .

فالعيوب التي نراها في الحياة انما هي قوانين ملازمة لقوانين مضادة لها . فهي كالسلب يقابله ايجاب . أو بعبارة أخرى هي كالتيار الكهربائي لا بد لانتاجه من تفاعل بين شيئين متضادين . فاذا انفرد الخير في الحياة كانت الحياة أنشودة تعلو الى السماء لا نستطيع أن نسير على الأرض في ثبات وقوة . وكذلك اذا استبدَّ الشر بالحياة كانت الحياة جحيماً لا يطاق .

فمن العبث أن نحاول محو الحرب أو الفقر . ولكن من الواجب الانساني أن نصرف جهودنا وما فينا من نزعات للخير الى معالجة أثر الفقر وتخفيف ويلاته . وان نؤجل دائماً نزعات الحروب ونبعدها قدر الطاقة عن طريق الحياة . وان نثير في الناس عوامل الخير والمحبة، وأن نعمل على مقاومة الأثرة والأنانية . فواجب علينا أن نعالج أثر الفقر ، ولكن لن نضيع جهودنا في الإدعاء بمحو الفقر ، فلن تستطيع قوة بشرية ازالة نظام طبيعي مقرر في كيان نظام الحياة . فالحياة لن تستطيع أن تسير إلاّ بتباين الطبقات واختلاف المواهب والمقدرة على الانتاج ، والتساوي في هذه الحال حكم غير بريء لا يتفق مع العدالة الاجتماعية نفسها .

***

وكذلك الحرب ويلٌ وشرٌّ ومقتٌ وجوعٌ ودم وانتقام . ولكن لا مفر للحياة منها . قد رأينا وقرأنا أن العالم لا يكاد ينتهي من حرب حتى يتجه الى حرب جديدة تأتي من طريق الذين قاوموها وقاسوها . بل إن الدعوة الى السلام عملٌ شاذٌّ في ذاته ، وان كان جميلاً في دعوته . ودعوة السلام قد تؤدي الى حرب ، لأنها دعوة لا تطيقها طبيعة الحياة المنطوية على الأنانية والسيطرة والحقد والأضداد جميعاً .

فالحياة مجموعة أضداد لا شك في هذا ، وهي تسير وفق التفاعل المستمر بين كل ضدين. ولقد أصبحت هذه الأضداد شرائع تسير عليها الحياة ، فالذين يريدون أن يخلقوا من هذه الشرائع شريعة واحدة ذات صيغة واحدة ، انما يعالجون جانباً من الحياة دون جانب آخر . فالمصلح أو السياسي الذي يدّعي انه يعالج محو الاجرام أو الحرب أو الفقر ، انما هو رجل نظري أو فيلسوف لا أثر للحياة العملية في تفكيره إلاّ من حيث الشكل فقط .

***

فالذين يدعون الى محو الحرب يغالطون أنفسهم ويغرّرون بالناس جميعاً ، والذين بدءوا في أوروبا دعوتهم الاقتصادية المشتركة قد فشلوا وهم يسيرون الآن دون وعي منهم الى توطيد الملكيات الفردية وهدم ما قال زعماؤهم بالأمس، بل انهم يتكلمون في صراحة عن وحي لتفكير امبراطوري قائم على الغلبة والسيطرة . وهذا يتنافى مع طبيعة دعوتهم الاشتراكية الاولى التي بدءوها منذ أعوام . والذين يبشرون بزوال الحروب نراهم في قلق من دعوتهم فيدعون الى سلام مسلح ! . فاذا كان السلام لا يعيش على الارض إلاّ في حماية السلاح والدبابة والطائرة والغواصة والقنبلة الذرية ؟ فأي سلام هذا الذي يرفرف على الحياة ؟

***

فالعالم يعيش في هذا العصر في حالة حيرة وتردد ودوار مما أصابه من ويلات حرب دامت سنوات طويلة . العالم الآن مريض يعاني الآلام المختلفة وقد أصاب سوء الظن جميع زعمائه فلم يعد واحد يثق في الآخر . ولم يعد واحد منهم يستطيع أن يتجرد من النزعات الانسانية التي بدأت بها الحروب الماضية . فهل من الخير للعدالة والانسانية أن يقوم نفر من الدعاة للتبشير بمبادىء جديدة لايستطيع العالم الحائر المريض المتردد أن يفكر فيها، وان يفحص وجهي الخير والشر منها ؟ . ليس من شك في أن هؤلاء الدعاة هم أخطر المعاول التي بدأت تهدم في كياننا الاجتماعي وواجبنا أن نقاوم هذه الدعوات وان نعمل على علاج ما أصابنا من أمراض قبل أن يفتك بنا المرض ويتسع علينا الأمر .

محمود المجوري

# د . د . ت

# الهالوك الحديث للحشرات

## أو ، كلورو - ديفنيل - تريكلورو - إيثان

الهالوك ، في القاموس ، سمّ الفأر ، ولذا اخترت هذا اللفظ علماً على المسحوق العصري السام الذي سأصفه في هذا المقال ، وهو خلاصة مما نشرته المجلات العلمية الأجنبية :—

كان أول نبأ قرأناه ، بشأن هذا الهالوك ، ما روته الجرائد في أوائل سنة ١٩٤٤ إذ شرعت قوات الدول المتحالفة في الحرب الحالية ، تعفر به أهالي نابولي ، من هامات رؤوسهم الى سيقانهم ، بغية إبادة القمل من أجسامهم ، وكان هذا الهالوك يجلب من أمريكا بالطائرات ليستعمل في تطهير الايطاليين . فطهروا به مليوناً وربع مليون منهم في ذلك الثغر وحده . فأتيح لهم بهذه الوسيلة قمع وباء حمى التيفوس ، الذي كان يهدد السكان جميعاً . وكان هـذا المسحوق السري الجديد المبيد للقمل يسمى د . د . ت . ولا جدال في كونه قد أتى بالفائدة المنشودة . وهـذا إلى جانب إهلاكه لحشرات لا تحصى ، مما يحيط بالناس ، فينغص عليهم عيشهم . فاذا ما رشّ امرؤٌ بعضاً من هـذا الهالوك ، على أي ذَرَى [٢] مما يستذري به في مسكنه ، فانه يقتل كل ذبابة تمشي عليه . ويدوم هـذا المفعول ثلاثة أشهر ، ولو عالجت به بطانية صوفية فغسلتها ثم جففتها وكرّرت هذا العمل الثلاثي ، ثلاث مرّات ، ثم جئت بخمس وعشرين عثة ووضعتها على شقة من البطانية عينها ، لا تزيد مساحتها على ثلاث عقد أصبع ، فانها لا تلبث أن تهلك بدلاً من التهامها وبر البطانية .

---

(١) تفضل بالاطلاع على هذا المقال حضرة الاستاذ محمد سليمان الزهيري بك مدير قسم الحشرات بوزارة الزراعة فقرر ان كل ما ورد به ، صحيح بحسب ما أسفرت عنه المباحث والتجارب المصرية

(٢) الذرى ، وزان الحصى — كل ما يستتر به الشخص . وتذريت بالشيء استترت به . ويقال أنا في ظل فلان وفي ذراه أي كنفه وستره ودفئه . واستذرى بالشجرة استظل بها وصار في دفئها . واستذرى بفلان التجأ اليه وصار في كنفه . ويسوغ أيضاً استعمال كلمة دريئة ( دروة )

وإذا رششته في حديقتك مرّة واحدة ، قتل الخنافس اليابانية قتلاً يستمر أسبوعين أو ثلاثة أسابيع ، واذا رششته على البق استأصل شأفته من الأثاثات القديمة جميعها ، وليس هذا فحسب ، بل قد يدوم تأثيره تسعة أشهر على الأقل فلا تظهر في الفراش أية بقة جديدة في خلال هذه المدة .

ويعتقد علماء الحشرات التابعين لحكومة جمهورية الولايات المتحدة الامريكية ، الذين عهد اليهم في دراسة تأثيرات د . د . ت انه من أصلح المواد التي أثمرتها الحرب الحالية لأزمان السلم . وبلغ من إعجابهم بخطورة شأن نتائجه أن شبهوها بفوائد العلاج بعقاقير السلفانيلاميد والبنيسيلين .

ومما ينبغي ذكره إثباتاً للحقائق التاريخية والعلمية ، أن هذا المركّب المبيد للحشرات ، قد تمّ اختراعه في المانيا منذ سبعين سنة . ومخترعه شابٌ المانيٌ تخرّج في إحدى جامعات بلاده ، ولكن لم يكترث له الناس ( أي الهالوك ) من ذلك الحين حتّى حلّ فصل صيف سنة ١٩٤٣ . وكذلك لم يكن مخترعه يدري مبلغ ما سوف يجنيه الملأ من منافع مسحوقه في الجيل الحالي. وما يقال بشأن هذا المخترع ينطبق أيضاً على هتلر والشركة السويسرية التي تصنع المركب عينه ، وهي شركة جيجي المتحدة Geigy Inc التي نالت رخصة بصنعه في سنة ١٩٣٩ بصفة كونه مبيداً للعث والسوس بيد أنها لم تستطع استغلاله كما يجب . فحدث قبل سنة ١٩٤٢ أن قام كبير جرّاحي الجيش الامريكي، ووزارة الزراعة الامريكية ببحثٍ مستفيض بغية اختراع مهلك حشريّ شديد جدّا فباءوا بالفشل . وما من شك أن الأوبئة كان لها فصل الخطاب ، في المعارك الحربية ، أكثر من قواد الحرب أجمعين في تاريخ العالمين بأسره .

ذلك أن جيوش أمريكا غدت تقاتل في ميادين حربية كانت أشد أرجاء المسكونة تلوّثاً بالحشرات والأدواء على حين كان الروتينون Rotenon قد انقطع وروده من جزائر الهند الشرقية كما ضؤل الوارد من عود القرح فلم يرَ علماء حشرات وزارة الزراعة الامريكية وكيميائيوها الباحثون مناصاً من اختراع تركيب عشرات من المساحيق القاتلة للحشرات ثم تجربتها . وكان بين هاتيك المساحيق المهلكة التي أتيح لهم الحصول عليها خلسة في أواخر اكتوبر سنة ١٩٤٢ رطل واحد من صنع شركة جيجي المهلك للعث والسوس ، وذلك من

سويسرا عن طريق السفارة الأمريكية تحت بصر هتلر ورغم أنفه .

وجربوه أولاً في إبادة خنافس الفول المكسيكية فلم ينجح . ثم اختبروه في إهلاك حشرات أُخَر فأحرزوا نتائج طيبة ، شجعت خبراءهم على مواصلة تجاربهم في أربعين مركزاً من مراكزهم الزراعية المنتشرة من سواحل الاطلنطي الى شواطىء المحيط الهادي ، فتمكنوا قبل حلول مايو سنة ١٩٤٣ من جعله هالوكاً فائقاً للقمل . وشرعت شركة ديبون في صناعته في مصنع جديد خاص أنشأته لأجله وأنفقت عليه نصف مليون دولار ، وذلك بعد حصولها على الترخيص اللازم من شركة چيجي .

ومن ذلك الحين قام الجيش الأمريكي بتوزيع هذا الهالوك توزيعاً مباشراً بطائراته في مَدينتي نابولي والقاهرة وآفاق المحيط الهادي . وفرض على كل جندي حمل علبة تحتوي على أوقيتين منه ليعفر بها ثيابه قصد إبادة ما يعلق بها من القمل الكبير جميعه ، فيستمر مفعول الهالوك فيها ثلاثة أسابيع على الأقل . وكانت هذه الفترة كافية لقتل كل ما يتولد في خلالها من صغار القمل أيضاً .

وعند ما وصل مسحوق د. د. ت الى بلاد أفريقية في سنة ١٩٤٣ طفقت القوات الأمريكية تعفر به البدو وقايةً لهم من وباء التيفوس . والبدو كغيرهم من الخلق عرضة لهجوم القمل ما داموا لا يستحمون . ولا عجب فقد بلغ عدد الذين أصيبوا بحمى التيفوس من أهالي الولايات الفرنسية في شمال أفريقية وحده في سنة ١٩٤٢ أكثر من مائة الف شخص

ولما قام الجنود الأمريكيون بتعفير فوج من البدو بالهالوك المشار اليه جعلوا يشعرون بالارتياح إذ أصبحوا غير مضطرين الى خمش أجسادهم « هرشها » لأول مرة في حياتهم .

وبلغ من إغتباط أولئك الأعراب بنتيجة هذا المسحوق المبيد للقمل أنهم أشادوا به في أرجاء بلادهم ، فنال أحسن التقدير فأخذ القوم يهرعون طائعين مختارين زرافات ووحداناً الى مراكز التعفير والتطهير . فأمها أولاً الآباء وأبناؤهم ثم الأزواج وزوجاتهم . واشتد الاقبال عليها من النساء عامة حتى بلغ عدد الأعراب في أحد المراكز الخاصة بالتطهير ذات يوم ألف نفس . وكانوا يقفون صفوفاً طويلة حيث كان المرء يبصر كلاً منهم عاكفاً على حك بشرته قبل تعفيره .

ومن طبائع القمل أن يعمد مرتين في اليوم الى امتصاص الدماء من فريسته ، ليتغذى بها ، فاذا ظفر بأربه منها تمكن من نشر التيفوس في بيئته ، هذا اذا كان ملوثاً بجراثيم تلك الحمى من قبل . ومن دأب القمل أيضاً أن يحتشد حول آباط المرء وأربيته ، لأن ذينك المخبأين دافئان ليّنان . ولذلك أعدّ الأمريكيون بما طبعوا عليه من الذكاء ، منافيخ ذات أذرع هي خراطيم من المطاط تمتد على ظهر الشخص وفوق أكمام ملابسه وفي بنطلونه وسرواله . فكنت تراهم حيث يجتمعون يتكأكأ حولهم الأعراب طالبين المناعة من القمل

ومما رواه شاهد عيان في هذا الصدد أنه رأى فرقة ابادة القمل تحل في بلدة أقيم فيها عرس بدوي فخم فوقفت الفرقة الحفل ريثما تؤدي عملها ، حيث اصطفّ المدعوون جميعاً وعلى رأسهم العروسان وحينئذٍ أدير منفاخ الهالوك وصار يقذف ذلك المسحوق على أجسادهم وثيابهم حتى انتهت عملية التعفير ، فانفرط عقد الاجتماع ، وأخذ العريس عروسه مطهرة من القمل .

وتبين للخبراء الكيميائيين أن الهالوك الذي أخذ من أسرى الألمان ، كان أضعف مفعولاً من الهالوك الأمريكي ولذلك كان تطهير أولئك الأسرى من القمل أول واجب يقوم به الأمريكيون نحو أسراهم ويمتاز د. د. ت على غيره من الهواليك بدوام تأثيره زمناً أطول منها جميعاً . فساحيق عود القرح مثلاً المبيدة للحشرات تفقد خاصيتها بعد انقضاء يوم أو يومين . والروتينون يفقدها في ثلاثة أو أربعة أيام . على حين أن مركبات الزرنيخ والفلوريد انما تقتل الحشرات عند أكلها اياها لا غير . أما النيكوتين فيهلكها بمجرد رشها عليها رشاً مباشراً . وهذا بينما د. د. ت يبيدها في الحالتين كلتيهما ، سواء أكلته أو لمسته فلا يضطر مستعمله الى رشه رشاً مباشراً على الحشرات التي يحتاج الى اهلاكها ، بل حسبه أن يختلط الذباب الملوث بهذا الهالوك بغيره من السليم فيقضي عليه .

ولهذا السبب يبيد د. د. ت الحشرات الخبيثة ومنها سوس الفاكهة المعروف باسم السوس الشرقي الذي يلتهم الخوخ . أما السموم المعدنية القديمة التي كانت مستعملة لمقاومته فلم تجد نفعاً لأن تلك الديدان عندما تنقف ، لا تلبث أن تزحف نحو أعناق الفاكهة حيث تنقب

عجمها . أما السموم التي تؤثر باللمس فهي وقتية لأنه ينبغي وضعها في الميعاد الذي تنقف فيه الديدان حيث تشرع في الزحف . ولكن د . د . ت اذا رشَّ في ذلك الموضع من قبل ، ظلَّ مفعوله ثابتاً حتى اذا نقف الدود ، لقي فيه حتفه . ومن أشد الحشرات فتكاً بالزراعة دودة التفاح وهي حشرة صغيرة مجنحة سنجابية اللون تعلو جلدها بقع سمر جميلة ويخيل لناظرها أنها عادمة الضرر ولكنها تلد دودة بيضاء هي التي كثيراً ما يراها الانسان في باطن التفاحة حيث تفسدها فساداً يفضي الى كساد سوق التفاح فتبلغ خسائر زراعه ملايين الجنيهات سنوياً .

وذلك أن فراشة التفاح تبيض بيضها على أزهاره فيفقس البيض أساريع . وعند ما تتكوَّن التفاحة في قاعدة زهرتها تلتهم هاتيك الأساريع قلبها ، فترى التفاح الذي تسطو عليه الأساريع يتساقط من أشجاره قبل نضجه بزمن طويل . ومتى نقبت قلب التفاحة غادرتها وجعلت تنسج حول نفسها شرانق من خيوط حريرية دقيقة تتعلق بها تحت لحاء أشجار التفاح . ثم تظل في هذا الدور من أطوار حياتها وهو طور الزيز نائمة مستكنة حتى تتحوَّل فراشاً . ويشاهد الطائر المسمى نقار الخشب يلتهم أفواجاً من هذا الفراش . وعندما يصير الزياز فراشاً ينطلق من شرانقه طائراً الى أزهار التفاح ليبيض عليها استعداداً للفقس التالي . ويبدأ ظهور الفراش في يونيو . ولإبادة الأساريع يرش زراعو الفواكه أشجارهم بمحلول أخضر باريس أو بزرنيخات الرصاص وذلك عند ما تبدأ الأزهار في التساقط . وقد حيَّرت هذه الحشرة زراع التفاح في الأقاليم الغربية من الولايات المتحدة الامريكية . فيضطرون كل سنة الى رش بساتينهم من خمس الى تسع مرَّات بالمساحيق القتالة للحشرات وقايةً لمحصولاتهم من غوائلها . ولا يخفى ما يتطلبه ذلك الرش من فادح النفقات . وهذا يرجع الى كون زرنيخات الرصاص التي تستعمل لذلك القصد تزول عندما يتساقط عليها الماء . وأما د . د . ت فهو على النقيض من ذلك يلتصق بها فتصبح حاجة الزرَّاع الى رشها به أقل منها بسواه . و د . د . ت يقتل النحل كما يفتك بغيره من الحشرات ولذلك يفرض على مستعمله اتخاذ الوسائل التي تفضي الى الانتفاع به واجتناب ضرره

عوض جندي



# مكتبة المقتطف

## الملك

لمحمود حسن اسماعيل — ١٩٠ ص من الحجم المتوسط — شركة فن الطباعة

ليس أحبّ الى المصريّ من اسم « الفاروق » ، وليس أقرب الى فؤاد كل من روى ظمأه بماء النيل من المليك الجليل الجالس على عرش مصر .

فقد وضع الفاروق — حفظه الله — مذ اعتلى أريكة العرش خطة لنفسه لا يزال يعمل جاهداً على تحقيقها . فجلالته يروم أن يسعد شعبه ليسعد هو ، ويبغي أن يرفع مستواه المعيشي والصحي لتقرّ عيناه ويبشّ وجهه . إن المليك أعلن الحرب على أعداء الوطن : تلك الجهالة الفاشية ، وذلك الفقر الضارب أطنابه ، وهذا السقم الذي يتسلل الى الأبدان فيضعفها . شهر جلالته الحرب وحرص على تشجيع كل من يسهم في مكافحة تلك الأدواء الثلاثة رغبةً منه في توفير الرفاهية لشعبه وتمكينه من أن يصبح في بحبوحة سابغة .

تلك المآثر الجليلة الحميدة التي يزجيها المليك الى شعبه موصولة غير متقطعة ، وهذه الرغبة الأكيدة في الأخذ بناصرة « الفلاح » رمز المصري ، وجدت صدًى من أصدائها الكثار في شاعرٍ رقيق العاطفة مرهف الحسّ ورد على العاصمة من الريف وفيه ميل وحب عظيمان للريف وأهله ، وعطف على آهليه من الفقراء والمعوزين ، فلم يسع الشاعر إلاّ أن يترجم تلك الأصداء في قريضٍ ينظمه ، وشعر ينشده . ومن تلك المنظومات يتألف ديوان « الملك » الذي أخرجه الاستاذ محمود حسن اسماعيل أخيراً .

وهل أجمل في التعبير عن مكنونات هذه العاطفة المتأججة من أن يقول محمود في إهداء كتابه للمليك :

« من القرية التي خُضت ظلامها وأسقامها حتى طرقت باب الكوخ بيمينك لتطمئن على حياة شعبك ، فشددت ساعد الفلاح والعامل ، ورقأت دمعة البائس والسقيم ، ونفضت غبار

الذلّ والمسكنة عن هؤلاء الذين طرحتهم عبودية الفقر والجهالة في كهوف النسيان ... »

« وهل أوقع في النفس من أن ينهد الشاعر :

كم بائسٍ كنت سلوانًا لكربته ... لولاك من دمعه يروى ويقتات
وكم شقيّ الثرى عاري الأديم مضت ... رفرافة منك تحييه السعادات
وكم خريفٍ على الأكواخ أهلكه ... نداك فهو رياحين وإيكات
عطفٌ وبرٌّ وإحسانٌ ومرحمةٌ ... يا قوم من هنا تزكو العبادات »

ولو رغبنا في الاستدلال بكل ما سجله الشاعر عن برّ المليك بالمعوزين والمكروبين، لأحوجنا نقل معظم ما اشتمل عليه الديوان . ولكن يكفي أن نجمل الاشارة فنقول إن الشاعر محموداً أُخذ بكل عملٍ خيري نهض به الفاروق بوحي من عاطفته الواعية الرحيمة، فسجل رعاية جلالته لمشروع مكافحة الحفاء ومشروع يوم المستشفيات وزيارته لمديريتي قنا وأسوان لمواساة المرضى وتوزيع المؤن عليهم وانقاذهم من ويلات الداء . واذا كانت آلة التصوير تنجح في تصوير تلك المآثر الملكية فان الشعر يَفضُلها في تصوير الدوافع النبيلة التي أوحت الى سيد البلاد بأن يعنى بأحوال شعبه ، تلك الدوافع التي لم يستطع المليك أن يكتمها أو يخفيها .

***

والشاعر لم يكد يرى المليك فاروقاً يرعى العروبة ويعتزّ بها ويتصدّر الداعين اليها حتى سارع الى نظم انطباعات ذهنه بلغة الشعر التي يجيدها ، فسجل اجتماع رضوى بين أهلي مصر والجزيرة العربية قائلاً :

عودي واحكي لي عن نجوى ... همهمتها الريح على « رضوى »
لجراح الشرق غدت سلوى ... وحديثاً في الدنيا يروى

عن أول ضيف للعرب
لقيته جبالهمُ كنبي
مجهول الزورة مرتقب

خفَّ الصحراء بميعاد ... ما كان بخاطرها يُطوى
فاروق ! وأنت على العرب ... أحنى من قلب أخٍ وأب
جمّعت هواهمْ في سبب ... ووصلت به خطو الشهب

ولقد وحّدنا في البلوى

عهدٌ كالصخرة أو أقوى
تُطوى الأعمار ولا يطوى
وتمر جميع الآباد وصداه يمر على الحقب

وسجل عطف الفاروق على فلسطين المجاهدة الأبية ومناصرته لها في شدائدها وكفاحها للحصول على أمنياتها فقال :

هذي فلسطين تغلي في مراجلها كأنما قذّفت في جوف بركان
تلفت القدسُ فيها شاكياً فمضت أنوار ملكك في عطف وتحنان
ترعى وترحم والأقدار شاهدة وفي يمينك للاسلام سيفان

وحيا الشاعر ملكي مصر والعراق لدى التقائهما من عامين وحمد للبنان الشقيق أرزته التي غرست في ساحة الفاروق رمزاً لعرى الصداقة الوثيقة والمودة الأكيدة بين القطرين .

ولم ينسَ الشاعر أن يسجل لجلالة الملك برّه بشطر النيل الأعلى ، فتحيّن مناسبة افتتاح خط التلفون بين القاهرة والخرطوم وتحادث الملك مع حاكم السودان العام ، ونظم قصيدة من عيون الشعر عنوانها «أصغى لك السودان» قال فيها :

بالسفح والقيعان
والدوح والأغصان
والموج والشطآن
أصغى لك السودان

واستوقف ناظري في ديوان « الملك » أن محمود حسن اسماعيل يكثر من مطالعة الكتب المقدسة دون الاقتصار على واحد منها ، ويستشهد بها في كثيرٍ من شعره ، وهو في هذا شبيهٌ بالشاعر أحمد شوقي بك . ومن ذلك على سبيل المثال قوله :

كل الطبيعة في الشطين زامرة وأنت «داوودها» : لم تروك السّيرُ
وقوله : قالوا : روى الموتُ بلواهم ! فقلت لهم ركاب «عيسى» يَرُدُّ الموتَ كذّابا
وقوله : بزورةٍ كنتَ «عيساها» وبي حذرٌ لولا جلال الهدى أدعوك رحمانا !
وقوله : من أرضهم شعّت رسالة « أحمد » بالنور لا بالسيف عنه تناضل
وقوله : وناي « داود » من قديم يرنُّ في سفحه صداه
وقوله : وردّدتك « مزاميراً » قوافلها كأنما أنت «موسى» وهي «توراة»

والحق إن المحاولة التي قام بها الأستاذ محمود حسن اسماعيل في تدوين شعور المواطن المخلص إزاء المليك الجليل ، محاولة تستدعي الإعجاب ، لأنه نظم من بعض نفسه قلادة للفاروق ، ونسج من عواطفه طُرُزاً فاخرة ، « وسكب من دمه غناء يفيض للدنيا بحب المليك والولاء له » . وليس هذا الشعور الصادق شعور مصري فحسب ، بل شعور كل عربي فجأته مآثر الفاروق واستحوذت على إعجابه ، واغتصبت منه الحبّ أكيداً .

وديع فلسطين

## الازهر بين الماضي والحاضر

تفضلت مجلة « المقتطف » الغراء الزهراء فنشرت في عددها الصادر في شهر ابريل من سنة ١٩٤٦م ملحقاً أدبيًّا تاريخيًّا عنوانه « الأزهر بين الماضي والحاضر » وقد كتبه فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ منصور علي رجب أستاذ الأخلاق بكلية أصول الدين الإسلامي بالجامعة الأزهرية ، وبذلك أسدت مجلة المقتطف إلى الأزهر والأزهريين ، بل إلى الإسلام والمسلمين يداً بيضاء ، وجميلاً مشكوراً مذكوراً ، لأنها مهدت بنشر تلك الدراسة الواسعة عن الأزهر في ماضيه وحاضره السبيل لدراسة أحوال الأزهر ومعرفة ما يتعلق به وما يرجى منه وما يعلق عليه من آمال ، أمام أولئك الذين لم يتصلوا بالأزهر عن قرب ، ولم يعرفوا من أموره وأسراره شيئاً ذا بال ، ويزيد هذا العمل جلالة وقدراً حينما نذكر أن قرّاء المقتطف الغراء جمهرة كريمة من الأدباء والعلماء والمثقفين ، فهذا بلا شك نصر كبير للأزهر ، وفائدة كبرى لنشر صفحات مطويات من تاريخ هذا المعهد العتيق !! . .

ولقد تحدّث فضيلة الأستاذ منصور علي رجب حديثاً حسناً محكماً عن الأزهر وتاريخه المادي والعلمي والتعليمي والديني ، وذكر أشهر الكتب التي تدرس في الأزهر ، وتحدّث عن مجلس الأزهر الأعلى ، وعن المعاهد الدينية ، وعن شيوخ الأزهر وطلبته وميزانيته وخريجيه ومكتبته ، والاتجاه الحديث للازهر ، وكيف ينبغي أن يكون ، تحدّث عن هذا وعن غيره حديثاً جذّاباً ، في عبارة واضحة وعرض أخاذ ، فله من أبنائه وإخوانه الأزهريين شباباً وشيوخاً أخلص الحمد والشكر على ما قدم من صنيع خالص لوجه الله ووجه الأزهر الشريف . إلاّ أن لي بعض ملاحظات على هذا البحث النفيس أرجو أن يتقبلها الأستاذ الجليل بصدره

الرحب ، وليثق أنني لا أريد بهذه الملاحظات طعناً أو نقداً ، وإنما هي تعليقات سريعة بدت لي في أثناء المطالعة فرأيت أن أنشرها في المقتطف حيث نشر بحثه لتكون كخاتمة لما بدأ ، إن أريد إلاّ الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

١ — لقد أعجبت كثيراً بمقدمة الاستاذ الكبير اسماعيل مظهر رئيس تحرير مجلة المقتطف التي قدم بها هذا البحث ، إذ كان صنيعه مشكوراً مأجوراً حينما أثبت هذه الشوقية الرائعة الخالدة التي أرسلها أمير الشعراء لتردّدها ألسنة الدنيا ويكررها فم الزمان ، وكأن الاستاذ اسماعيل قد أراد أن يستدرك في لطف ورقة على الاستاذ منصور ، إذ ما كان يجوز له بحال من الاحوال أن ينسى في مقام الحديث المفصل عن الأزهر هذا القصيد المجيد ، فقصيدة شوقي في الأزهر قلادة فريدة يتيمة لن يزيدها كرّ الليالي ومرّ الأيام إلاّ ذيوعاً وانتشاراً ، وكيف ينسى الأزهريون قصيد شوقي في جامعتهم الكبرى وهو يقول :

واخشع مليًّا واقض حقّ أئمة — طلعوا به زُهْراً ، وماجوا أبحرا

كانوا أجلّ من الملوك جلالةً — وأعز سلطاناً ، وأفخم مظهرا

ويقول مخاطباً الأزهر الشريف :

يا معهداً أفنى القرون جدارُه — وطوى الليالي ركنه والأعصرا

ومشى على يبس المشارق نورُه — وأضاء أبيض لجها والأحمرا

ويقول مخاطباً جموع الشباب الازهريين :

يا فتية المعمور سار حديثكم — ندًّا بأفواه الركاب وعنبرا

. . . . . . . . . . . . . . . . . . .

هزّوا القرى من كهفها ورقيمها — أنتم لعمر الله أعصاب القرى !

٢ — لاحظت أن الكاتب قد ذكر في الصفحة الثامنة سلسلة المراجع والمصادر التي استقى منها بحثه ، وألاحظ أن بعض هذه المصادر لم يكن هناك داعٍ للتطويل بذكره ، إذ أنه لم يستفد منه إلاّ التافه اليسير ، وإذا كان المؤلف حريصاً على التدقيق في هذا فكان الاولى أن يذكر كل مرجع عند الاستفادة منه ، ولو في هوامش الصفحات ، حتى يكون القارىء على علم بما نقله الأستاذ من هذه المصادر !

٣ — نقل المؤلف في صفحة (٢٣) ذلك المرسوم الملكي الذي أصدره الملك الظاهر برقوق والذي كان يقضي « بأن من مات من مجاوري الأزهر من غير وارث شرعي ، وترك موجوداً فإنه يأخذه المجاورون بالجامع » . وقد كنت أتمنى أن يقف المؤلف أمام هذا المرسوم وقفة طويلة ليستخلص منه عبرة وتذكرة يذكّر بها إخوانه الأزهريين ، علّ ذلك يكون باعثاً لجمع أشتاتهم وتوحيد صفوفهم ، وحبذا لو كان المؤلف قرن هذا بذكر العظات الاسلامية التي تتصل بهذا الموضوع كحادث المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، فانه مما يصدع القلب ويرمض النفس أن تدب عقارب الشقاق والاختلاف بين صفوف الأزهريين وهم الأماثل الأفاضل ، فيكون لها خطير الآثار ! . .

٤ — في صفحتي (٢٥ و ٢٦) تحدث المؤلف عن الاروقة في الأزهر ، وذكر أسماء كثيرة لها ، بعضها معروف للناس وبعضها مجهول ، وقد كنت أحب أن يبين الأستاذ ما بقي من هذه الاروقة الى الآن ، وما زال منها أو اندثر أو تحوّل ، وحبذا لو أن الكاتب بنى حديثه عن هذه الاروقة على مشاهدة شخصية لها يقوم بها حتى يتعرف مواضعها وهيئاتها ، فيكون حديثه حديث رؤية وعيان .

٥ — في صفحة (٢٩) ذكر الأستاذ المؤلف طرفاً من ذكر الشيخ الجليل والمجاهد الاسلامي العظيم والداعية الصادق عز الدين بن عبد السلام ، ولكنه لم يذكر إلاّ شيئاً قليلاً ولعزّ الدين مواقف كثيرة مشهورة ، حبذا لو عطر المؤلف بها بحثه النفيس ، وخصوصاً ما يروى عن عزّ الدين في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدفاع عن الحق ، وصدق الجهاد للباطل !.

٦ — ذكر المؤلف في صفحة (٤٦) وما بعدها الكتب التي تدرس في الأزهر ، ولم يبين لنا هل يريد بذلك الكتب التي كانت تدرس في الأزهر قديماً ، أو التي لا تزال تدرس الى اليوم ، وقد أوقعني ذلك في حيرة كبيرة ، لأن المؤلف قد ذكر كتباً ليست موجودة الآن ، أو لم توجد ، ونسي كتباً هي تدرس الآن ، فمثلاً لم يذكر في كتب النحو « أوضح المسالك » لابن هشام مع انه يدرس الآن في القسم الثانوي ، وفي الصرف لم يذكر كتاب « شذا العرف » ولا المذكرات الأخرى التي وضعها الأساتذة مثل « دروس التصريف »

الشيخ محيي الدين و « تصريف الافعال » للشيخ عنتر و « تصريف الأسماء » للشيخ الطنطاوي وغيرها . وفي علوم البلاغة لم يذكر كتابي « زهر الربيع » و « حسن الصنيع » ، وفي التفسير لم يذكر تفسير « الكشاف » مع انه مقرَّر في كلية اللغة العربية حرسها الله معقلاً للغة القرآن وأدب العرب ، وفي الحديث لم يذكر « صفوة صحيح البخاري » ، وفي الفقه لم يذكر كتابي « الاختيار » و « الهداية » . وقد ذكر في فقه الحنفية كتاب « كنز الدقائق » وهو غير موجود ، وشرح الحصكفي وهو غير موجود ، وكذلك كتاب « غرر الاحكام » . والكتب الأزهرية في الواقع باب واسع يحتاج الى بحوث وبحوث ، وحبذا لو فكرت مشيخة الأزهر الجليلة في اقامة معرض للكتب الأزهرية على غرار « معرض الكتاب العربي » الذي أقامته وزارة المعارف في شهر يونيه سنة ١٩٤٦ م ليستطيع هذا المعرض أن يقدم للناس صورة مفصلة عن الكتب الأزهرية وموضوعاتها وأشكالها وتطورها وما يتصل بها .

٧ — في صفحة ( ٥٥ ) قال المؤلف ما نصه : « بعد ذلك نعرض الأدوار التي مرَّت بالأزهر حتى وصل الى ما هو عليه الآن من نمو بفضل البذرة التي بذرها السيد جمال الدين الأفغاني ، وتعهدها من بعده تلميذه الامام الشيخ محمد عبده ، ويقوم الآن على حراستها وإنمائها تلميذه المخلص الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق » !!..

وأين المراغي إذن أيها الأزهري المنصف ؟.. ولماذا لم تذكر اسمه في هذه السلسلة ، وهو سابق على شيخ الأزهر الحالي ؟.. الواقع الذي لا يجادل فيه أن حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الامام المراغي — سقى جدثه الغيث — قد جاهد جهاداً كبيراً في اصلاح الأزهر ، فهو الذي سهر على الكليات الازهرية ، وهو الذي بعث البعوث ، وهو الذي ضاعف الميزانية ، وهو صاحب الدروس الدينية ، وهو مصلح الوعظ والارشاد ، وهو منظم البعوث الشرقية الى الأزهر . ولو كان المجال مجال الحديث عن المراغي لأفضت بتفصيل في تعداد مآثره ومفاخره ، ولكني أكتفي بأن أعتب عليك لأنك لم تخصه بمثل ما خصصت به مثله أو من هو دونه بالحديث والتقدير :

لا تظلموا الموتى وإن طال المدى    إني أخاف عليكمو أن تلتقوا !

٨ — في صفحة ( ٥٦ ) بدأ الحديث عن مراحل التعليم في الأزهر الشريف ، وتحدَّث عن علوم القسم الابتدائي ، ولكنه لم يذكر ما يشترط في الطالب لقبوله في هذا القسم مثل حفظ القرآن الكريم وتجويده ، ومعرفة القراءة والكتابة ، والاحاطة بقواعد الحساب الأولية ، وتجويد الخط ، والاملاء .

***

وقد ذكر في هذه الصفحة نفسها العلوم التي تدرس في كلية اللغة العربية فترك منها المطالعة والمحفوظات والانشاء .

وذكر العلوم التي تدرس في كلية الشريعة فذكر بينها « آداب اللغة العربية وعلوم البلاغة » وهي غير موجودة الآن ، وفعل مثل ذلك أيضاً عند ذكر العلوم التي تدرس في كلية أصول الدين .

٩ — في صفحة ( ٥٧ ) تحدَّث عن الشهادة الثانوية الأزهرية فقال إنها « تمنح لمن أتموا دراسة القسم الثانوي ، وتخوّل صاحبها الاندماج في الكليات » وهو يقصد الكليات الأزهرية . والواقع أن هذه الشهادة لا تخوّل صاحبها هذا فقط ، بل تخوله أيضاً الدخول في بعض كليات الجامعة الفؤادية ككلية الآداب وكلية دار العلوم ، أو الدخول في مدرسة الصيارف ! .

١٠ — في صفحة ( ٦٤ ) تحدَّث عن الشيخ عبد الله الشبراوي شيخ الأزهر المتوفى سنة ١١٧١ هـ . ثم تحدث بعد ذلك عن ديوانه المليء بالغزليات والنسيب ، ثم أورد له تلك القصيدة التي تسيل رقة وعذوبة ، والتي ذاعت على ألسنة المغنين ، ومطلعها :

وحقك أنت المنى والطلب وأنت المراد وأنت الأرب

وكنت أتمنى أن يقف الأستاذ المؤلف أمام هذه القصيدة الغزلية الرقيقة التي ينظمها شيخ للأزهر وإمام للمسلمين ، ثم يستخلص من هذا درساً يعلم فيه الأزهريين أن الوقار لا ينافي الشعر ، وأن الأزهرية لا تناقض الأدب ، وأنه من الواجب على ولاة الأمر في الأزهر الشريف أن يعنوا كل العناية بالناحية الأدبية في الأزهر ، وذلك بتشجيع الأدباء ومساعدة المؤلفين ونشر الكتب الثقافية وتنظيم المحاضرات وإصدار المجلات في كل كلية

وكل معهد. فرأس مال الأزهري في الحياة هو لسانه وقلمه ولن يسلم اللسان ولن يستقيم القلم إلاّ بالأدب.

١١ — في صفحة (٦٦) ذكر من مشايخ الأزهر الشيخ أحمد العروسي، وقال إنه من «منية عروس» وصحتها «منيل عروس» وهي بلد أخي الاستاذ زكي سويلم خريج كلية اللغة العربية حرسها الله معقلاً للغة القرآن وأدب العرب.

١٢ — ترجم المؤلف في صفحة (٦٩) للمغفور له الامام المراغي ترجمة وجيزة لا تليق بالمراغي العظيم الذي لم يخف المصاب فيه بعد، وخاصة إذا قارنا هذه الترجمة بترجمة المؤلف للأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر الحالي، فقد أفاض في الأخيرة، على الرغم من أن ذكر الشيخ مصطفى قد تردَّد خلال الكتاب أكثر من عشر مرات، تارةً بإيجاز وتارةً بإسهاب!

١٣ — ألاحظ أيضاً أن المؤلف حينما تحدَّث عن مكتبة الأزهر ومحتوياتها لم يتحدَّث عما تحتاج هذه المكتبة من ترتيب وتنظيم وتيسير وبناء جديد، حتى ينتفع بها الناس، وكذلك لم يذكر عند حديثه عن الكليات أماكن هذه الكليات حتى يعرفها من لم يشاهدها، وكذلك لم يتحدث بافاضة عن المدينة الأزهرية وما يجب أن تحتوي عليه من معاهد وملاعب ومساكن وقاعات ومرافق.

١٤ — في صفحة (٨٠) قال المؤلف: «وهنا لا أقصد أن يحرَّم على الطلاب الاشتغال بالسياسة فهذا حق من حقوقهم ...». وكان الأجدر بالأستاذ أن يفصل هنا معنى السياسة التي يريدها، لأننا في الواقع نختلف كثيراً حول تحديد معنى السياسة، فان كان المراد بها هو خدمة الوطن والعمل لوجهه، وإجابة داعيه حين يجد الجد وتتأزم الأمور فهذا حق بل هذا واجب مقدَّس على كل وطني، وإن كان المراد بها هو المظاهرات والتحطيم والحزبية والتفرق والتشدق بالألفاظ والخروج عن الحدود ومجاوزة الاختصاص فهذا شرٌّ يجب التعوذ منه، وهذا هو الذي دعا الشيخ محمد عبده الى أن يلعن السياسة والساسة ومادة ساس يسوس فهو سائس ومسوس الخ..

١٥ — هذا ونختم المؤلف بحثه بالآمال التي يرجو أن تتحقق، ولا ما حدث التي

يجب اجراؤها كي ينتظم الأمر في الأزهر ، فهل يسمح لي الأستاذ المفضال أن أضيف الى ما ذكر أنه يجب أن ينظم التأمين الصحي وتنظم الوحدات الصحية العلاجية في الأزهر ، ويجب أن تقدم وجبة الغذاء للطلبة حتى تضمن لهم غذاءً صحياً ، ويجب أن تصرف للطلبة جميع الكتب والأدوات التي يحتاجون اليها كل عام ، حتى لا يحدث الاضطراب أو الاهمال في الواجبات المدرسية ، ويجب أن يكون لكل كلية مجلة ، بل لكل معهد ديني مجلة ، ولكل كلية نادٍ أدبي اجتماعي لائق ، ويجب أن ينظم الاتصال العلمي والثقافي بين الأزهر ، وجامعتي فؤاد وفاروق ، ويجب أن يكون لكل كلية ولكل معهد مسجد كبير تقام فيه الصلوات والجمع ، ويخطب فيه الأساتذة والطلاب ليمهروا فنون الوعظ والإرشاد، ويجب أن يعنى داخل الكليات والمعاهد بالعبادات الدينية اليومية ، والمظاهر الإسلامية والتقاليد العربية الكريمة ، ويجب أن تحد من حرية الطالب فقد جعلته الظروف الأخيرة أشبه بمستبد لا يعرف له رادعاً أو واجباً ، وبالجملة يجب على الأزهر أن يعنى باستكمال المظاهر الجامعية ، دون اغفال الإصلاح المعنوي حتى يستطيع الأزهر أن يسير على طريق لاحب واضح ، فيؤدي رسالته ، ويشارك في توجيه العالم !.

أما بعد ، فأكرر شكر الأستاذ الجليل منصور علي رجب على بحثه ، إذ هو أول أزهري فيما أعلم حاول التأريخ لجامعته الكبرى ، وأرجو أن يسارع إخوانه أساتذة الأزهر بالسير على منواله والاقتداء به فنرى منهم من يكتبون عن معاهدنا وكتبنا وشيوخنا وعيوبنا وحسناتنا وماضينا ومستقبلنا ، كما أرجو ألاّ يقتصر الأستاذ منصور على ما قدم ، فله من قلمه السيال وأسلوبه الجميل وعرضه الشائق ، وفكره الناضج ، ما يجعله أقدر من غيره على السبق والتبريز في هذا المضمار !!.

***

كما أكرّر شكري المقتطف الغراء ، ولمحرّرها الكريم ، ولأسرتها النبيلة ، فقد يسروا لأحد أبناء الأزهر أن يقول في معهده كلمة الانصاف في زمن قلّ فيه المنصفون !!.

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف

## نابليون

تأليف اميل لودفيج : ترجمة الاستاذ محمود ابراهيم الدسوقي : الجزء الاول ٣٥٢ صفحة من القطع المتوسط : القاهرة ١٩٤٦

أول ما يمتاز به أسلوب اميل لودفيج في التراجم انه أسلوب حديث خالف به ذلك المؤلف النابه أساليب كتَّاب التراجم منذ أن بدأ صموئيل جونسون يكتب تراجم العظماء في انجلترا في القرن الثامن عشر . قيل ، وقيل بحق ، ان جونسون أعظم من ترجم عن حياة العظماء من كتَّاب العصر الحديث . وتراجمه في الشعراء من عيون الأدب العالمي . أما الفارق بينه وبين لودفيج وهو أعظم كتَّاب التراجم اطلاقاً في عصرنا الحديث ان جونسون يستمد أسلوبه من العقلية الانجليزية ، وهي عقلية واقعية . أما لودفيج فيستمد أسلوبه من العقلية الألمانية ، وهي عقلية مثالية خيالية .

الابتداءات التي يبدأ بها لودفيج كتبه نامة عن ذلك . فاذا نظرت في كتابه عن جوته وكتابه عن المسيح « ابن الانسان » او كتابه عن نابليون أنست فيه أثر الخيالية البعيدة الممتدة الآفاق البعيدة الأغوار . بدأ كتابه عن نابوليون بفتاة مترملة ترضع طفلها وفي أذنيها وقر أصوات كأنها هزيم الرعد : أتلك أصوات المدافع لا تزال تتكلم بألسن النيران حتى بعد أن غابت الشمس ، أم تلك هي العاصفة ، لسان الأبد يتكلم ؟

أما ذلك الخيال الرائع فهو طريق لودفيج الى تصوير الحقائق . فليست أصوات المدافع بعد مغيب الشمس ولا العاصفة بأشياء متخيلة ، وانما هي وقائع من صميم السيرة التي يكتبها فهي إذن ليست خيالاً صرفاً وانما هي اداته الى طبع صورة تامة في ذهن قارئه . ذلك هو السر في عبقرية لودفيج .

***

كتبت عن لودفيج في العربية بعض أقوال ، ولخصت كتابه « ابن الانسان » في « العصور » ، ولكن لم ينقل من كتبه شيء الى العربية بمثل العناية التي بذلها الاستاذ مترجم هذا الكتاب . فالعناية بالمؤلف وبالكتاب ظاهرة جلية في جميع صفحاته . وهي أظهر ما يكون في أسلوب

الأداء وفي العناية بتفهم العبارات . فان الآفاق التي يسبح فيها لودفيج بعض الأحيان، ترده عاجزاً بعض الشيء عن التعبير عما يرى فيها بلغة سهلة ، فيكتنفه الغموض . فاذا نقلت عباراته تلك كما خطها قلمه الى لغة أخرى خرجت شوهاء . أما عناية الاستاذ الدسوقي بأن يجلو ما صادفه في الكتاب من أمثال هذه العبارات ، فأمرٌ ينبغي أن يقابل بالشكر من كل عربي يُعنى بأن تكون الامانة أول شروط النقل . فان المترجم الذي يقصر الترجمة على نقل الألفاظ دون المعاني ، أبعد ما يكون عن أمانة النقل وعن الفهم معاً .

***

كذلك قد مضى أكثرنا يعتقدون أن الترجمات التي ينقلها المترجمون الاوربيون عن غيرهم من الامم ، هي من الكمال والضبط بحيث لا يتطرق اليهما الخطأ أو سوء الفهم أو الاهمال . غير ان المؤلف قد خالف هذه القاعدة فراجع الاصل على بعض الترجمات فوضح له أن بعضها أهمل نقل عبارات برمتها و بعضها أساء الفهم . وعندي ان ما قام به الاستاذ الفاضل مترجم هذا الكتاب من العناية بهذه المقابلات أمرٌ يستحق عليه كل مديح وثناء . وأول شيء نستخلصه من عنائه هذا انه ترجم الكتاب بروح اكاديمية بعيدة عما يزين لكثير من المترجمين حب العجلة واكتساب شهرة التأليف على حساب العلم والأدب .

***

جملة القول ان هذا الكتاب فريد في بابه ، نسيج وحده في الترجمة ، وصورة كاملة لما ينبغي أن تكون عليه الترجمة والمترجمون . ا . م

## المرأة في ظل الديموقراطية

( تابع المنشور على الصفحة ١١٢ )

ونقل الينا ان « كاترينا سفورزا » قد أنشدت أبياتاً من الشعر نظمتها باللاتينية ترحيباً بالكردينال « رياريو » عند ما نزل ببلاط أبيها ، وهي في العاشرة ، وعن « إليزابتا جونزاجا» انها كانت تغني أشعار « ڤرجيل » ، موقعةً بأناملها على القيثارة . وعن « إيزابلا داسته » انها كانت تقرأ ڤرجيل وكيكرون وهي ما تزال يافعة ، وانها والت درس الآداب ،

حتى بعد أن أصبحت مركزة « مانتوا » . ولا شك في أن ذلك العصر ، عصر النهضة ، قد طبع بطابع الأدب العالي ، حتى لقد اعتقد أهل الطبقات العليا فيه ، أن تعلم الآداب القديمة من حاجات الحياة الأولى ، سواء للرجل أم المرأة ، وانه يزيد المرأة جمالاً وفتنة . فلم يكن هنالك من فارق بين تربية الفتى وتربية الفتاة .

نقتصر على هذه الصورة التي نقلناها عن عصر النهضة في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر الميلادي ، فنقضي بأن تعليم المرأة قد انحدر وفسد ، والرأي فيها اضمحل وأسفّ ، من بعد ذلك . وشاهدنا على ذلك « روسو » قبيل الثورة الفرنسية.

ولكننا اليوم عند رأي « كاستيلوني » الذي قال في المرأة الكاملة :

«إن كل الايحاء انما يأتي من طريقها ؟ وانه من خصائص المرأة المثقفة أن تلهب في الرجل نار الشجاعة ،وتبعث في نفسه الأمل في حومة الوغى ، والنهى في قاعة المشورة ، والإلهام في عالم الفن ،والضرب في رحاب المعرفة ،والسموّ في ميدان الفضيلة، والتقوى في مفاوز الدين».

لقد قام في أثناء الثورة الفرنسية بعض الذين حاولوا أن ينادوا بحقوق المرأة السياسية. ومنهم رجال آمنوا بأن انكار ذلك الحق على المرأة، فيه منافاة للعدل وانتهاك للفكرة الأساسية في الحرية، وأنها ملكٌ مشاع لأبناء آدم وحواء، وانها حقٌ أبديٌ أزليٌ لا يُسلب ولا يُلغى ، بل انه حقٌ ملازمٌ للحياة الانسانية نفسها، وان الاعتداء عليه، مساوٍ تماماً للاعتداء على الحياة.

ولكن بالرغم من كل هذا كان نصيب كل حركة فكرية اتجهت هذا الاتجاه ، القمع السريع والكبت العاجل بشدة وعنف . ومثال ذلك : أن حكومة الثورة قد حلت جميع الهيئات التي أقامها النساء . فكل النوادي والجمعيات والهيئات السياسية التي أسسها النساء في فرنسا قد حلّت وحظر بقاؤها ، وحرم النساء شهود اجتماع الهيئة الثورية، حتى لقد هددهنّ « شوفيت » أحد رجال الثورة ، بأن تدخلهنّ في السياسة ، تجاوزٌ لحقوق جنسهنّ ، واعتداءٌ على الشرع الطبيعي .هنا نستطيع أن نقارن بين حال المرأة ومركزها الاجتماعي في طبقات المجتمع العليا في عصر النهضة الأوربية ، وحالها في عصر الثورة الفرنسية، لنحكم أيهما كان عصر النور والعرفان .

اسماعيل مظهر

# فهرس الجزء الثالث

## من المجلد التاسع بعد المائة



لحق مقتطف اغسطس

سنة ١٩٤٦